الفصل الرابع

منتخباتٌ من آثار البحترى

١ ـ الشّاعر السّياسىّ

الخليفة المتوكل

أجاد البحترى فى الشعر الذى مدح به الخليفة جعفراً المتوكل على الله ، ومن ذلك هذه القصيدة التى بدأها بالغزل ، ثم انتقل إلى المدح انتقالا مفاجئاً .

وقد أثنى الشاعر على الخليفة بالجود ، والسداد فى تدبير الملك ، وتوخى الإحسان فى القول والعمل ، والتزام طاعة الله ، والشجاعة فى ميدان القتال ، وقد اكتسبت القصيدة قوة من قافية الضاد :

أيها الراغبُ الذى طلبَ الجُو ... دَ ، فأَبلَى كُومَ المطايا ، وأَنْضَى[١]

رِدْ حِياضَ الإمامِ تَلْقَ نَوالاً ... يسعُ الرّاغبين طولا ، وعرضا[٢]

فهناك العطاءُ جَزْلاً لمن رَا ... مَ جزيلَ العطاءِ ، والجودُ محضا[٣]

هو أَنْدَى من الغمامِ ، وأَوْفَى ... وَقَعاتٍ من الحُسامِ ، وأَمضَى[٤]

دبّر المُلكَ بالسَّدادِ ، فإبرا ... مٌ صلاحُ الإسلام فيه ، ونقضا[٥]

يتوخَّى الإحسانَ قولًا وفعلًا ... يُطيعُ الإلهَ بسْطًا وقَبْضا[٦]

---

(١) الكوم : القطعة من الإبل . والمطايا : الدواب . وأنضى الدابة : هزلها .

(٢) النوال : العطاء .

(٣) الجزل : الواسع . والمحض : الخالص

(٤) أندى : أكرم . والحسام : السيف .

(٥) السداد : الرشاد والصواب .

(٦) توخى الأمر : تعمده ، وتطلبه دون سواه . وبسطاً وقبضاً ، أى فيما يعطى وفيما يمنع .

وإذا مـــا تشنَّعَتْ حوله الحر ... بُ ، وكان المَقامُ بالقَوْمِ دَحْضا[١]
غَشِي الدَّارِعِين ضَرْباً هَذَاذَيْ ... كَ ، وطعناً يُودع الخيلَ وخْضَا[٢]
يا بنَ عم النبي حقًّا ، ويا أَزْ ... كى قريشٍ :نفساً ،ودِيناً ،وعِرْضَا[٣]
بنتَ بالفضلِ والعلُوِّ ؛ فأَصبح ... تَ سماءً ، وأَصبح الناسُ أرضا[٤]
وأَرى المجدَ بين عـــارفةٍ منْ ... ك تُرَجَّى ، وعَزمةٍ منك تُمْضى[٥]

إلى دمشق

عزم المتوكل على الرحيل إلى دمشق ، ولعله كان يريد اتخاذها عاصمة لخلافته ، فقد ضاق ذرعاً بجوار الترك ، وود لو يستطيع العيش بين العرب فى الشام : فأنشأ البحترى هذه القصيدة ، يثنى فيها على دمشق ، ويدعو للخليفة أن يصحبه التوفيق فيما أراد وقال بعد الغزل :

حبّذا العيشُ فى دِمَشْـ ... ـقَ إذا ليلُهـــا بَرَدْ
حيثُ يُستقبَلُ الزما ... نُ ، ويُستحسنُ البَلدْ[٦]
سَفَرٌ جدَّدت لنا اللـ ... ـهوَ أيامُه الجُـــدُد
عـــزَمَ اللهُ للخلي ... فةِ فيه على الرَّشدْ[٧]
ملكٌ تَعجِزُ البَرِيَّـ ... ـةُ عن حلّ ما عقدْ[٨]

---

(١) تشنعت : جدت . والدحض : المكان الزلق .
(٢) الدارع : لابس الدرع . وهذاذيك : قطعاً بعد قطع . والوخض : الطعن غير النافذ .
(٣) زكا : طاب .
(٤) البين : البعد .
(٥) العارفة : العطية . وأمضى العزم : نفذه .
(٦) يستقبل الزمان : يريد يستأنف زمان جديد جميل .
(٧) عزم : أراد .
(٨) البرية : الخليقة .

يا إمامَ الهدَى الذى احـ ـتاط للدِّين ، واجتهدْ
سِرْ بسعدِ السعودِ فى صُحبةِ الواحدِ الصَّمدْ[١]
وابقَ فى العزِّ والعُلا وٍّ لنا آخرَ الأَبدْ[٢]

عودة إلى العراق

قد يكون لولى العهد محمد المنتصر يد طولى فى عودة المتوكل إلى العراق ، فقد كان ضالعاً مع نفر من مريديه ، حتى يستبقى ولاية العهد لنفسه ، والبحترى فى هذه القصيدة يهنئ المنتصر بعودة أبيه ، كما يصف زينة بغداد لاستقباله ، ومضيه إلى سامرا . قال بعد الغزل :

إمامٌ يراهُ أَولَى عبادِه بحقٍّ ، وأَهداهُم لقصدِ سبيله
خليفتُه فى أَرضِه ، ووليُّهُ الـ ـرَّضىُّ لديْه ، وابنُ عمٍّ رسوله[٣]
وبحرٌ يمُدُّ الرّاغبون عيونَهمْ إلى ظاهرِ المعروفِ فيهم جزيله[٤]
ترى الأَرضَ تُسقَى غَيثَها بمروره عليها ، وتُكْسى نبتَها بنزوله[٥]
أَتى من بلاد الغرب فى عدد النَّقَا نَقَا الرملِ : من فرسانه ، وخيوله[٦]
فأَسفرَ وجهُ الشرقِ ، حتى كأَنما تبلَّج فيه البدرُ بعد أُفوله[٧]
وقد لَبِستْ بغدادُ أَحسنَ زيِّها لإقبالِه ، واستشرفَتْ لعدوله[٨]

---

(١) الصمد : المقصود .
(٢) الأبد : الدهر .
(٣) الرضى : المرضى .
(٤) الجزيل : الكثير .
(٥) الغيث : المطر .
(٦) النقا : القطعة من الرمل .
(٧) أسفر : ظهر . وتبلج : أشرق . والأفول : الغروب .
(٨) استشرف الشيء : رفع بصره لينظر إليه . وعدوله : انصرافه إليها .

ويَثْنيه عنها شوقُه ، ونِزَاعُه ... إلى عرضِ صَحْنِ الجَعْفَرىّ وطوله[١]

إلى منزلٍ فيه أحبَّاؤه الأُلى ... لقاؤُهمُ أقْصى منـــاهُ وسولِهِ[٢]

محلٌّ يُطِيبُ العيشَ رقةُ ليْلهِ ... وبُرْدُ ضُحاه ، واعتدالُ أصيلهِ[٣]

لَعَمرى ، لقدآبَ الخليفةُ جعفرٌ ... وفى كلِّ نفسٍ حاجةٌ من قُفولهِ[٤]

دعاه الهوى فى «سُرَّمَن راءَ» ؛ فانكفَى ... إليها انكفاءَ اللَّيْثِ تلقاءَ غيلهِ[٥]

على أنها قد كان بُدِّل طِيبُها ... ورُحِّل عنهـــا أُنْسُها برحيله

وإفراطُها فى القبح عند خروجه ... كإفراطِها فى الحسنِ عند دخوله

ليَهْن ابنَهُ خيرَ البنينَ : محمدًا ... قُدُومُ أبٍ عالى المحل جليلهِ

غَدَا ، وهو فردٌ فى الفضائل كلها ... فهل مُخبرٌ عن مثلِه أو عديلهِ[٦]

وإنَّ وُلاةَ العهدِ فى الحلمِ والتُّقَى ... وفى الفضلِ من أمثالهِ وشكوله[٧]

صُلْح بَنى تغلب

ثارت حرب بين قبيلة من قبائل العرب فى الجزيرة ، هى قبيلة تغلب بن ربيعة ، فكاد يفنى بعضها بعضاً ، فعنى المتوكل بهذه الحرب ، وعهد إلى وزيره الفتح بن خاقان أن يصلح بين المتحاربين ؛ فأعاد السلام بينهم ، فأنشأ البحترى قصيدة يشكر بها الخليفة على تلك اليد ، قال فيها :

أَسِيتُ لأَخوالى ربيعةَ إذ عَفَتْ ... مصايفُها منها ، وأَقْرَتْ رُبوعُها[٨]

---

(١) يثنيه عنها : يصرفه عنها . ونزع إلى الشىء : اشتاقه . والجعفرى : قصر بناه المتوكل فى سامرا .

(٢) سوله : مخفف سؤله .

(٣) الأصيل : الوقت بين العصر والمغرب . (٤) القفول : الرجوع .

(٥) انكفأ : انصرف . والليث : الأسد . والغيل : أجمة الأسد .

(٦) العديل : النظير . (٧) الشكول : جمع شكل ، وهو : النظير .

(٨) أسى : حزن . وعفا الأثر : امحى . والمصايف : : جمع مصيف . وأقوى : خلا . والربوع : جمع ربع ، وهو : الدار .

بِكُرْهى أن باتتْ خَلاءً ديارُها ... ووحشاً مَغانيها ، وشتَّى جُموعُها[١]

وأمستْ تَساقَى الموتَ من بعدِ ماغدتْ ... شَروباً تَساقى الراحَ رِفهاً شُروعها[٢]

إذا افترقوا عن وقعــةٍ جَمَعَتْهمُ ... لأُخرى دماءٌ ما يُطَلُّ نجيعُها[٣]

تَذُمُّ الفتاةُ الرَّوْدُ شِيمةَ بعلِها ... إذا بات دون الثأْر ، وهو ضجيعُها[٤]

حَمِيَّةُ شعبٍ جاهلىٌّ وعزَّةٌ ... كُلَيْبيَّةٌ أعيا الرجالَ خضوعُها[٥]

وفُرسانُ هَيجاءٍ تجيش صدورُها ... بأَحقادِها حتى تضيقَ دروعُها[٦]

تُقَتِّلُ من وترٍ أعزَّ نفوسِها ... عليها بأَيدٍ ما تكادُ تُطيعها[٧]

إذا احترَبتْ يوماً ، ففاضت دماؤُها ... تذكرت القُرْبى ، ففاضتْ دموعُها[٨]

شَواجرُ أرماحٍ تُقطِّع بينهم ... شواجرَ أرحامٍ ملوم قَطوعُها[٩]

فلولا أميرُ المؤمنين وطَوْلُهُ ... لعادت جُيوبٌ ، والدماءُ رُدوعُها[١٠]

ولاصطُلِمَتْ جرثومةٌ تغلَبيَّةٌ ... به استُبْقِيَتْ أغصانُها ، وفروعُها[١١]

---

(١) الوحش : الخالى . والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل .

(٢) تساقى : تتساقى : يسقى بعضها بعضاً . شروب : كثيرة الشرب . والراح : الخمر . والرفه : مصدر رفهت الإبل ، أى وردت الماء كل يوم متى شاءت . والشروع : ورود الماء .

(٣) طل دمه : هدر ، ولم يثأر له . والنجيع من الدم : ما كان مائلا إلى السواد .

(٤) الرود : اللينة .

(٥) الحمية : الأنفة . وكليبية : منسوبة إلى كليب وائل من ربيعة ، يضرب المثل بعزته . وأعيا : أعجز .

(٦) والهيجاء : الحرب . وجاشت القدر : غلت .

(٧) الوتر : الانتقام .

(٨) احترب القوم : أوقدوا نار الحرب .

(٩) شواجر أرماح : أرماح مشتبكة متداخل بعضها فى بعض .

(١٠) الطول : الفضل والقدرة . والجيوب : جمع جيب ، وهو فتحة فى القميص يلبس منها . والردوع : من ردعه : لطخه . والمعنى : لولا فضل أمير المؤمنين لحدث تمزق فى القبيلة تلطخه الدماء .

(١١) اصطلم الشىء : استأصله . والجرثومة : الأصل .

رفَعْتَ بضبْعَىْ تغلِبَ ابنةِ وائلٍ ... وقد يَئِستْ أن يستقلَّ صريعُها(١)

وكنتَ أمينَ اللهِ مولى حياتِها ... ومولاكَ فتحٌ يوم ذاك شفيعُها

لَعَمرى ، لقد شرَّفتَه بصنيعةٍ ... إليهم ، ونُعْمَى ظلَّ فيهم يُشيعها(٢)

تألَّفَهم من بعد ما شرَّدتْ بهم ... حَفائظُ أخلاقٍ بطيءٍ رجوعُها(٣)

فأبصرَ غاديها المحجَّةَ ؛ فاهتدى ... وأقصَرَ غالِيها ، ودانَى شَسُوعها(٤)

وأمضَى قضاءٌ بينها ؛ فتحاجزَت ... ومخفوضُها راضٍ به ، ورفيعها(٥)

فقدرُ كُزَتْ سُمرُ الرِّماحِ وأُغمِدَتْ ... رِقاقُ الظُّبَى : مجفُوُّها ،وصنيعها(٦)

فقَرَّت قلوبٌ كان جَمًّا وجيبُها ... ونامتْ عيونٌ كان نَزْرًا هُجوعها(٧)

أتتكَ ، وقد ثابتْ إليها حلومُها ... وباعدَها عمَّا كَرِهتَ نزوعها(٨)

تُعيدُ ، وتُبدى من ثناءٍ كأنه ... سبائبُ روْضِ الحَزْنِ جاد ربيعها(٩)

---

(١) الضبع : العضد . ورفع بضبعيه : أنهضه . ويستقل : ينهض . والصريع : المطروح على الأرض .

(٢) الصنيعة : الإحسان . وأشاع الخير : أذاعه .

(٣) شرد : نفر . والحفيظة : الغضب والحمية فيما يحفظ .

(٤) الغاوى : الضال . والمحجة : جادة الطريق ووسطه . وأقصر : أمسك . والغالى : المتجاوز الحد . ودانى : قارب . والشسوع : البعيد .

(٥) أمضى : أنفذ . وتحاجزت : منع بعضها بعضاً

(٦) ركزت : دفنت . ورقاق : جمع رقيقة . والظبى : جمع ظبة ، وهى : حد السيف ومجفوها : الغليظ منها . وصنيعها ، أى المصنوعة صنعاً جيداً .

(٧) قر : ثبت وسكن . وجما : كثيراً . ووجيب القلب : ارتجافه وخفقانه . والنزر : القليل . والهجوع : النوم .

(٨) ثاب إليه : رجع . والحلوم : العقول . ونزع عن كذا : كف ، وانتهى عنه ، يريد نزوعها عن الحرب .

(٩) السبائب : الشقق ، وهى : جمع شقة ، والشقة : ما شق من ثوب أو نحوه مستطيلا . والحزن : الأرض الغليظة . والروض فى الحزونة أحسن منه فى السهولة . وجاد : أمطر .

تَصُـــدُّ حياءً أن تراك بأَعْين ... أَتى الذَّنبَ عاصيها فلِيمَ مُطيعُها

ولا عُذرَ إلا أنَّ حِلمَ حليمِها ... يُسفَّهُ فى شرِّ جناه خليعُها[1]

بَقِيتَ ،فكم أبقَيْتَ بالعفو محسناً ... على تَغْلبٍ ، حتى استمرَّ ظَليعها[2]

ومُشفقةٍ تخشى حِماماً على ابنها ... لأَوَّلِ هَيجاءٍ تلاقَى جُموعها[3]

رَبَطتَ بصلحِ القومِ نافرَ جأْشِها ... فقرَّ حَشاها ، واطمأَنَّتْ ضلوعُها[4]

موكب الخليفة

كان الخليفة العباسى يخرج فى موكب حافل لصلاة العيد ، وكان يخطب الناس فى ذلك اليوم والبحترى يصف هذا الموكب ، تتقدمه فرق الجيش . ويحتفل به الشعب ، ثم يصف الخليفة المتوكل . متواضعاً برغم هذه المظاهر ، محبوباً من الشعب ، وخطيباً بليغاً ، إذ يقول بعد مقدمة غزلية :

اللهُ مكَّنَ للخليفـــةِ : جعفرٍ ... مُلكاً يُحَسِّنُه الخليفةُ : جعفرُ

نُعمَى من اللهِ اصطفاه بفضلِها ... والله يرزُقُ من يشاءُ ، ويقدُرُ[5]

فاسلَم أميرَ المؤمنين ، ولا تزلْ ... تُعطَى الزيادةَ فى البقاء ، وتُشكَرُ

بالبرِّ صُمتَ ،وأنت أفضلُ صائمٍ ... وبسنَّةِ الله الرِّضِيَّةِ تُفطِرُ

فانعَمْ بيومِ الفطر عيناً ؛ إنه ... يومٌ أَغرُّ من الزَّمانِ مُشَهَّرُ[6]

أظهرتَ عِزَّ المُلكِ فيه بجَحْفَل ... لَجِبٍ يُحاطُ الدينُ فيه ويُنْصرُ[7]

---

(١) يسفه : ينسب إلى السفه . والخليع : المتهتك .

(٢) ظلع فى مشيه : غمز .

(٣) الحمام : الموت . وتلاق : تتلاقى .

(٤) النافر : الشارد . والجأش : القلب .

(٥) قدر الرزق : قسمه .

(٦) أغر : أبيض ، من غر الشىء : أبيض . ومشهر : مظهر .

(٧) الجحفل : الجيش . واللجب : الشديد الجلبة .

خِلنا الجبالَ تسيرُ فيه، وقد غَدت ... عُدَدًا يسيرُ بها العديدُ الأكثرُ

فالخيلُ تَصهَلُ، والفوارسُ تدَّعى ... والبِيضُ تلمعُ، والأسنَّةُ تَزْهَر(١)

والأرضُ خاشعةٌ تميدُ بثِقْلِها ... والجوُّ مُعتكرُ الجوانبِ أغبرُ(٢)

والشمسُ ماتعةٌ، تَوقَّدُ بالضحا ... طَورًا، ويطفئُها العجاجُ الأكدرُ(٣)

حتى طلعتَ بضوءِ وجهك؛ فانجلتْ ... تلك الدُّجى، وانجابَ ذاك العِثْيَرُ(٤)

ورنا إليك الناظرون فإصبَعٌ ... يُومَا إليكَ بها، وعينٌ تنظرُ(٥)

يجدون رؤيتَك التى فازوا بها ... من أنْعُمِ اللهِ التى لا تُكفَرُ(٦)

ذكروا بطلعتك النبيَّ؛ فهلَّلوا ... لما طلعت من الصفوفِ، وكبّروا(٧)

حتى انتهيتَ إلى المصلَّى لابساً ... نورَ الهدَى يبدو عليك، ويَظهَر

ومَشيتَ مِشيةَ خاشعٍ متواضعٍ ... لله لا يُزْهَى، ولا يتكبَّرُ(٨)

فلو انَّ مُشتَاقاً تكلَّفَ فوقَ ما ... فى وُسْعِهِ لَسعَى إليك المِنبرُ

أُيِّدْتَ من فصلِ الخطابِ بحكمةٍ ... تُنبى عن الحقِّ المبينِ، وتُخبِرُ(٩)

ووقَفتَ فى بُرْدِ النبيِّ مُذكِّرًا ... بالله، تُنذِرُ تارة، وتُبشِّر(١٠)

---

(١) ادعى الشيء: زعم أنه له، حقاً أو باطلا. والبيض: السيوف. والأسنة: جمع سنان، وهو: نصل الرمح. وتزهر: تتلألأ.

(٢) خشع: تطامن. ومعتكر: شديد السواد. وأغبر: له لون الغبار.

(٣) ماتعة: بلغ ضوءها غايته. والعجاج: الغبار. والأكدر: المائل إلى السواد.

(٤) الدجى: الظلمات. وانجاب: انكشف. والعثير: التراب.

(٥) رنا إليه: أدام النظر إليه بسكون طرف. وأومأ: أشار.

(٦) تكفر: تستر.

(٧) هللوا: رفعوا أصواتهم باسم الله.

(٨) زها: تكبر.

(٩) أيده: قواه. وفصل الخطاب: الخطاب الفاصل بين الحق والباطل.

(١٠) البرد: الثوب المخطط.

ومواعظٍ شَفَت الصدورَ من الذى ... يعتادُهـا ، وشفاؤُها متعذِّرُ

حتى لقد علمَ الجهولُ ، وأخلصَتْ ... نفسُ المُرَوِّى ،واهتدى المُتَحَيِّرُ[١]

صَلُّوْا وراءَك آخِذين بعِصمةٍ ... من رَبِّهِمْ ، وبذمة لا تُخفَرُ[٢]

فاسلَمْ بمغفرةِ الإله ، فلم يزلْ ... يهَبُ الذنوبَ لمنْ يشاءُ ، ويغفِر

اللهُ أعطاكَ المحبةَ فى الوَرَى ... وحَباك بالفضلِ الذى لا يُنكَرُ[٣]

ولأنتَ أملأُ للعيونِ لدَيهمُ ... وأجلُّ قدرًا فى الصدورِ ، وأكبرُ

ولاة العهد

تشبه المتوكل على الله بهارون الرشيد . فولى عهده أولاده الثلاثة : المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد ؛ فأثنى البحترى على هذا التقليد . وقال :

أحيـا الخليفةُ جعفرٌ بفَعالهِ ... أفعـالَ آباءٍ له وجـدودِ

تتكشَّفُ الأيامُ من أخـلاقِه ... عن هَدْيِ مهدىٍّ ، ورُشد رشيد[٤]

حاط الرعيَّةَ حين ناط أمورَها ... بثلاثة بكروا وُلاةَ عهود[٥]

قُدَّامَهم نورُ النبىِّ . وخلفَهم ... هدىُ الإمامِ القائمِ المحمودِ[٦]

لن يجهلَ السارِى المحجَّةَ بعد ما ... رُفعت لنا منهم بُدُورُ سُعود[٧]

---

(١) المروى : المطيل التفكير .

(٢) العصمة : كل ما منع به الشىء . وتخفر : ينقض عهدها .

(٣) حباه به : أعطاه إياه .

(٤) فى البيت إشارة إلى الخليفتين : المهدى ، والرشيد .

(٥) حاطه : حفظه وتعهده . وناطه : علقه .

(٦) الإمام القائم : يريد به المتوكل .

(٧) المحجة : جادة الطريق ووسطه .

كانوا أحقَّ بعقدِ بَيعتِها ضُحاً ... وبنظم لؤلؤِ تاجِها المعقودِ

عُرِفوا بسيماها ، فليس لمُدَّعٍ ... من غيرِهم فيها سوى الجُلمود[1]

فَنِيَتْ أحاديثُ النفوس بذكرِها ... وأفاقَ كلُّ مُنافِسٍ وحسودِ

واليأْسُ إحدى الراحتَين ، ولن ترى ... تَعَباً كظنِّ الخائبِ المكدودِ[2]

فاسلمْ أميرَ المؤمنين ، ولا تزلْ ... مُستعْلياً بالنصرِ والتـأْييدِ

نَعتدُّ عزَّك عزَّ دينِ محمدٍ ... ونرى بقـاءَك من بقاءِ الجودِ

إنصاف العلويين

لقى العلويون عسفاً واضطهاداً فى أيام المتوكل ، فلما تولى المنتصر أزال عنهم ما شملهم من حيف ، فسجل له البحترى تلك المعاملة الكريمة ، إذ قال من قصيدة طويلة يمدحه بها ، بعد مقدمة غزلية :

حَجَجنا البنيَّةَ شكرًا لما ... حبانا به اللهُ فى المنتصرْ[3]

تطوّلَ بالعدْلِ لمّا قَضى ... وأجملَ فى العفو لما قدَرْ[4]

رَدَدْتَ المظالم ، واسترجعَتْ ... يداك الحقوقَ لمن قد قُهِرْ

وآلُ أبى طالبٍ بعد ما ... أُذيعَ بسربِهمُ ، فابذَعَرْ[5]

ونالتْ أدانيَهمْ جفـوة ... تكادُ السماءُ لها تنفَطِرْ[6]

---

(١) السيماء : الهيئة والعلامة . والجلمود : الصخر .

(٢) المكدود : المتعب .

(٣) البنية : الكعبة . وحباه به : أعطاه إياه .

(٤) تطول : أنعم .

(٥) السرب : الجماعة . وابذعر : تفرق .

(٦) الجفوة : القطيعة . وتنفطر : تنشق .

وصلْتَ شوابِكَ أرحامِهم ... وقد أَوْشك الحبلُ أن يَنْبَتِرْ[١]

فقرَّبتَ من حظِّهم ما نأَى ... وصفَّيتَ من شُربهم ما كَدَرْ[٢]

وأينَ بكم عنهمُ ، واللقا ... ءُ لا عن تناءٍ ، ولا عن عَفَرْ[٣]

قرابتُكم ، بل أشقَّاؤُكمْ ... وإخوتُكم دون هذا البشَرْ

يُشادُ بتقديمِكم فى الكتابِ ... وتُتلى فضائلُكم فى السُّوَرْ[٤]

وإنَّ عليًّا لأَوْلى بكمُ ... وأزكى يدًا عندكم من عُمرْ

وكلٌّ له فضلُهُ ، والحُجو ... لُ يوم التفاضُلِ ، دونَ الغُرَرْ[٥]

بقيتَ إمامَ الهُدى للهدى ... تُجدِّدُ من نهجهِ ما دَثَرْ[٦]

خليفة قتيل

شهد البحترى قتل المتوكل ، فكان لذلك أثر كبير فى نفسه ، ورثاه بهذه القصيدة التى بدأها بالحزن على مصير القصر الجعفرى الذى كان يسكنه الخليفة ، ثم تحدث عن مصرعه ، وغيبة أنصاره عنه ، وسخطه على قاتليه ، وبخاصة ولى العهد الذى كان ضالعاً مع القتلة ، وختمها برجائه أن يقتص الله من ظالميه :

مَحَلٌّ على القَاطولِ أخلَقَ دائرُهْ ... وعادتْ صُروفُ الدهرِ جيشاً تُغَاوِرُهْ[٧]

---

(١) الشوابك : المشتبكة . وينبتر : ينقطع .

(٢) فأى : بعد .

(٣) التنائى : التباعد . وعفره : ضرب به الأرض . يريد قهره . ومعنى البيت : كيف تبعدون عنهم ، ولا تلقونهم لقاء الوادين ، لا لقاء النافرين عنهم ، الراغبين فى إذلالهم .

(٤) يريد بالكتاب : القرآن .

(٥) الحجول : بياض فى القوائم . وتفاضل الرجلان : ادعى كل منهما الفضل على صاحبه . والغرر : جمع غرة ، وهى بياض فى جبهة الفرس .

(٦) النهج : الطريق الواضح . ودثر : بلى وامحى .

(٧) القاطول : نهير من دجلة كان فى موضع سامرا ، كان عليه القصر الجعفرى . وأخلق : بلى . والدائر : البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .

كأن الصَّبا تُوفِى نُذورًا إذا انبرَتْ ... تراوحُه أذيالُها . وتُباكرُهْ[١]

ورُبَّ زمانٍ ناعمٍ ثَمَّ عهدهُ ... ترِقُّ حواشيه، ويورقُ ناضرهْ[٢]

تغيَّرَ حُسنُ الجعفرىِّ وأُنسُه ... وقُوِّض بادى الجعفرىِّ وحاضرُه[٣]

تحمَّلَ عنه ساكنوهُ فُجاءةً ... فعادت سواءً دورُهُ ومقابرُه[٤]

إذا نحن زُرناه أَجَدَّ لنا الأَسى ... وقد كان قبلَ اليوم يُبْهَجُ زائرُه[٥]

ولم أَنْسَ وَحْشَ القصرِ إذ رِيعَ سِرْبُه ... وإذ ذُعرَتْ أطلاؤه وجآذِرهْ[٦]

وإذ صيح فيه بالرَّحيل ، فهُتِّكَتْ ... على عَجلٍ أستارُه وَستائره[٧]

ووَحْشَتَه . حتى كأَن لم يُقِمْ به ... أَنيسٌ، ولم تَحْسُنْ لعينٍ مناظرُه[٨]

كأَن لم تَبِتْ فيه الخِلافةُ طَلقَةً ... بَشَاشتُها ، والمُلكُ يُشرقُ زاهره[٩]

ولم تجمع الدنيا إليه بهـاءها ... وبهجتَها ، والعيشُ غَضٌّ مكاسِرُه[١٠]

---

(١) الصبا : ريح طيبة تهب من الشرق . وتوفى نذوراً ، أى كأن ذلك نذر عليها لهذا القصر . وتراوحه : تنتابه وقت الرواح أى آخر النهار . وتباكره : تهب عليه بكرة ، أى صباحاً .

(٢) زمان ناعم : أى ناعم أهله . وحواشيه : جوانبه . وترق حواشيه بمعنى أن أوقاته سعيدة . والشجر الناضر : الحسن . يريد أنه كان عهداً جميلا .

(٣) قوض : تهدم . وباديه : ما كان فيه مما جلب من البادية . وحاضره : ما جلب فيه من وسائل الحضارة .

(٤) تحمل : ارتحل . وسواء : متساوية فى إقفارها وخلوها من الأحياء .

(٥) أجد لنا الأسى : جدد لنا الحزن .

(٦) وحش القصر : نساؤه الجميلات الشبيهات بالبقر الوحشى فى جمال العيون . وريع : أفزع . والسرب : الجماعة . والأطلاء : جمع طلا ، وهى الظبية .. والجآذر : جمع جؤذر ، وهو : ولد البقرة الوحشية . يشبه أبناء القصر بها لما فزعوا وشتتوا لمصرع الخليفة .

(٧) هتكت : مزقت . والأستار : جمع ستر . والستائر : جمع ستارة .

(٨) الوحشة : الخلو .

(٩) طلقة : مشرقة ضاحكة . والبشاشة : طلاقة الوجه . والزاهر : الحسن المشرق من الألوان .

(١٠) البهاء : الجمال . والبهجة : الحسن . وغض : ناعم طرى . ومكاسره : جمع مكسر ، ويقال : عود طيب المكسر : أى محمود .

فأين الحجابُ الصعبُ حيث تمنَّعتْ ... بهيبتِها أبوابُه ومقاصرُه(١)

وأين عميدُ الناسِ فى كلِّ نَوْبةٍ ... تنوبُ . وناهى الدهرِ فيهم وآمرُه(٢)

تخفَّى له مُغتالُه تحتَ غِرَّةٍ ... وأَوْلى لمن يغتاله لو يُجاهرُه(٣)

فما قاتلَتْ عنه المَنايا جُنودُه ... ولا دافعَتْ أملاكُهُ وذخائرُه(٤)

ولا نَصَر المعتزَّ من كان يُرتجَى ... له ، وعزيزُ القومِ مَن عَزَّ ناصرُهْ(٥)

تعرَّض نصلُ السَّيفِ من دونِ فتحِه ... وغُيِّبَ عنه فى خُراسانَ طاهرُه(٦)

ولو عاشَ مَيْتٌ ، أو تقرَّب نازحٌ ... لدارتْ من المكروهِ ثَمَّ دوائرُه(٧)

ولو لعُبَيْدِ الله عــونٌ عليهمُ ... لضاقتْ على وُرَّادِ أمرٍ مَصادرُه(٨)

حُلومٌ أضلَّتها الأمانى ، ومدَّةٌ ... تناهت، وحَتْفٌ أوشكَتْه مَقادرُه(٩)

---

(١) تمنع به : احتمى به . والمقاصر : جمع مقصورة ، وهى الحجرة من البيت .

(٢) عميد الناس : سيدهم ، يريد به الخليفة ، والنوبة : النازلة . وناهى الدهر ... المتصرف النافذ الحكم ، كأنه يملى على الدهر ما يريد .

(٣) تخفى : تستر وتوارى . ومغتاله : قاتله غيلة . والغرة : الغفلة .

(٤) ذخائر : جمع ذخيرة ، وهى المخبأ لوقت الحاجة .

(٥) المعتز : من يعد نفسه عزيزاً بسواه ، فيكون معتزاً به . وعز ناصره : قوى معينه .

(٦) نصل السيف : حده . وفتحه : الفتح بن خاقان ، نديم المتوكل الذى قتل معه أيضاً . وطاهره : طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين والى خراسان فى ذلك الحين .

(٧) النازح : البعيد . ومعنى البيت : لو عاش هذا النديم ، أو كان ذلك الغريب حاضراً لحدثت أمور عظيمة ، ولانتقم للمقتول .

(٨) عبيد الله : هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمور . وضاقت مصادره : عز الخلوص منه . ومعنى البيت : لو يعان عبيد الله على قتلته لأخذهم ، فلا يفلتون من عقابه .

(٩) حلوم جمع حلم (بالكسر)، وهو العقل . والحتف : الموت . وأوشكته : قربته . والمقادر : جمع مقدار ، وهو : القدر . ويشير بذلك إلى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تآمروا على قتل الخليفة .

ومُغْتَصَب للقتل لم يُخْشَ رَهْطُهُ ... ولم تُحْتَشَمْ أسبابُه وأواصِرُه[١]

صَريعٌ تقاضاه السيوفُ حُشاشةً ... يجودُ بها ، والموتُ حُمْرٌ أظافرُه[٢]

أُدافعُ عنه باليدين ، ولم يكن ... لِيَثْنِيَ الأعادى أعزلُ الليلِ حاسِرُه[٣]

ولو كان سِنِّى ساعةَ الفتْكِ فى يدى ... دَرَى الفاتكُ العَجْلانُ كيف أُساوِره[٤]

حرامٌ علىَّ الرَّاحُ بعدكَ ، أو أرى ... دماً بدمٍ يجرى على الأرضِ مائرُه[٥]

وهل أَرْتَجِى أن يطلب الدَّمَ وَاترٌ ... يَدَ الدهر ، والموتورُ بالدَّمِ واترُه[٦]

أكان ولىُّ العهدِ أضمرَ غَدْرةً ... فمِنْ عَجبٍ أن وُلِّىَ العهْدَ غادِرُه[٧]

فلا مُلِّىَ الباقى تُراثَ الذى مضى ... ولا حَمَلَتْ ذاك الدُّعاء منابرُه[٨]

ولا وَأَلَ المشكوكُ فيه ، ولا نَجَا ... من السيفِ ناضِى السيفِ غدراً وشاهِرُه[٩]

---

(١) الرهط : القبيل والجماعة ، وتحتشم : يستحى منها . والأسباب والأواصر : الصلات التى تربط بينه وبين قاتله .

(٢) تقاضاه السيوف : تأخذ منه . يقال : تقاضاه الدين : إذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : بقية الروح من المريض والجريح .

(٣) أعزل الليل : أعزل فى الليل . والأعزل : من لا سلاح معه . ويريد نفسه . وحاسره : لا درع معه فى هذا الليل .

(٤) الفاتك : القاتل على غفلة . والعجلان : المسرع . وأساوره : أواثبه ، وأدافعه .

(٥) الراح : الخمر . أو أرى : إلى أن أرى . والمائر : الجارى .

(٦) الواتر : الآخذ بالثأر . ويد الدهر : مد زمانه . والموتور : من قتل له قتيل ، فلم يأخذ بدمه أحداً . والواتر : من أحدث وتراً . ومعنى البيت : كيف أرتجى الثأر للخليفة مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذى قتله ، فهو واتر وموتور معاً . والاستفهام للنفى .

(٧) ولى العهد : هو المنتصر الذى خاف أن ينقل أبوه ولاية العهد إلى أخيه المعتز . والغدرة : الخيانة ونقض العهد .

(٨) ملى التراث : تمتع به طويلا . يدعو الشاعر على المنتصر ألا يتمتع بميراث أبيه ، وألا يخلفه ، ولا يدعى له على المنابر .

(٩) وأل : نجا . ونضا السيف : سله من غمده . وشهر سيفه : انتضاه ، فرفعه على الناس .

لَنِعْمَ الدَّمُ المسفوحُ ليلةَ جعفرٍ هَرَقتمْ ، وجُنْحُ الليلِ سُودٌ دَياجرُه[١]

كأنَّكُم لم تعْلَموا مَن وليُّــه وباغِيه تحتَ المُرهَفاتِ وثائرُه[٢]

وإنى لأرجو أن تُردَّ أمورُكم إلى خَلَفٍ من شخْصِه لا يغادرُه[٣]

مُقَلِّبِ آراءٍ ، تُخافُ أناتُهُ إذا الأخرقُ العَجْلانُ خيفَتْ بوادرُه[٤]

٢ ـ الشاعر الاجتماعى

مغنّ بغيض

ساء البحترى فى هذه القصيدة خلقة المغنى ، وسوء أدائه للغناء فقال :

مُغَنِّيكَ للبُغضِ فيه سِمَهْ تَلوح على خِلقَةٍ مبهمهْ[٥]

تزيدُ الإهانةُ فى حــالهِ صلاحاً ، وتُفسِدُهُ التَّكْرِمَهْ[٦]

يُرَعِّشُ لَحْيَيهِ عند الغِناءِ كأن به النافِضَ المؤلمَهْ[٧]

---

(١) هرقتم : أرقتم . وجنح الليل : طائفة منه . والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .

(٢) وليه : صاحب دمه المطالب به . وباغيه : باغى الثأر له . والمرهفات : السيوف المرققة. وثائره : من يثور فى طلب الثأر له .

(٣) إنى لأرجو . . أى آمل أن يبقى الحكم فى ذريته ، لا يخرج منها .

(٤) مقلب آراء : ينظر فى الأمور ، ويتدبرها . ويأخذ أحكمها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى الأناة . والأخرق : الضعيف الرأى . والبوادر : جمع بادرة ، وهى : الحدة : وما يبدو فى الغضب من غير روية . وخيفت بوادره ، أى خشيت عجلته التى تكون خطراً على الأمور .

(٥) يخاطب الشاعر بهذه القطعة من سمع المغنى عنده . والسمة : العلامة . والمبهمة : الغامضة .

(٦) التكرمة : الإكرام .

(٧) اللحى : عظم الحنك الذى عليه الأسنان . والنافض : حمى الرعدة .

ومنتشِرُ الحلقِ ، وَاهى اللَّهاةِ إذا ماشَدا ،فاحشُ الغلصمَهْ[١]

وأَنفٌ إذا احمرَّ فى وجهِه وقام توهَّمتَهُ مِحْجَمَهْ[٢]

فكم شَذْرَةٍ ثَمَّ مَنسيَّةٍ أُطيحَتْ ، وكم نَغْمةٍ مُدغمَهْ[٣]

عرائدُه أبدًا جَمَّةٌ وأخلاقُه كَزَّةٌ مظلِمَهْ[٤]

كثيرُ التلفُّتِ والإعتراض شديدُ التَّفلّت والهَمهَمه[٥]

يجىءُ بما هو أهلٌ له فلولا الحياءُ كسرنا فَمَه

ثياب جميلة وأخلاق سمجة

يشكو فى هذه القطعة من أناس أشباه اتصل بهم ، يرتدون جميل الحلل ، ويتخلقون بأسوأ الخلال :

وأين يكونُ مغتَرِبٌ بدهر شَريدٌ فى حوادثِه طريدُ[٦]

وخلَّفنى الزمانُ على أُناسٍ وُجوهُهُمُ وأيديهِمْ حديدُ[٧]

لهم حُللٌ سُنَّ ، فهنَّ بيضٌ وأخلاقٌ سَمُجْنَ ، فهنَّ سُودُ[٨]

وأخلاقُ البغالِ ، فكلَّ يوْمٍ يَعِنُّ لبعضِهم خُلُقٌ جَديدُ[٩]

---

(١) منتشر : منبسط . والواهى : مسترخى الرباط . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . وشدا : غنى . والفاحش : القبيح ، وكل شىء جاوز الحد . والغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

(٢) المحجمة : آلة الحجم .

(٣) الشذرة (فى الأصل) : خرزة تفصل بها بين الجواهر فى النظم . ويريد بها هنا : ما يفصل به بين أجزاء الغناء .

(٤) العرائد : جمع عريد ، وهى العادة . والكز : الضيق .

(٥) التفلت : التخلص . والهمهمة : التكلم بالكلام الخفى .

(٦) الشريد : الطريد .

(٧) حديد : جامد لا تلين .

(٨) سمج : قبح .

(٩) يعن : يظهر .

وأكثرُ ما لسائِلِهِمْ لدَيهِمْ إذا ما جاءَ قولُهُمُ : تعودُ
أُناسٌ لو تأمَّلَهمْ لبيدٌ بكى الخَلَفَ الذى يشكو لبيد[١]

جار ثقيل

يصف الشاعر فى هذا النص جاراً ملحاحاً فى طلب الطعام والشراب يدعى : ابن جبير ؛ قد منح معدة قوية لا يكاد الطعام يلقى فيها حتى تهضمه وتطلب سواه ، ولا يلبث الخوان أن يوضع أمامه ، حتى يقبل عليه فى شراهة يخاف رائيه أن يموت بها خنيقاً :

زائرٌ زارنى ، ليسأَلَ عن حَا لى، كما يسأَلُ الصَّديقُ الصَّديقا
كيفَ حالى ، وقد غدا ابنُ جُبيرٍ لَ دون الإخوانِ جارًا لَصيقَا ؟![٢]
غادياً ، رائحاً علىَّ . فما يتـ ـرُكُنى أن أُريحَ ، أو أن أُفيقا[٣]
يقتضينى الغَدَاءَ ، والشمس لم تَبْـ ـزُغْ طُلوعاً ، ولم تبلَّجْ شروقا[٤]
مِعدةٌ أَوّليةٌ كرَحَى البَزَّا ر : يُلْقِى حَبًّا ، وتُلقِى دقيقا[٥]
ويدٌ ما تزالُ ترمى بأَحجا رٍ من اللُّقْم ، تُعجزُ المَنْجَنِيقا[٦]
وكأَن الفتى يَطُمُّ رَكايَا قد تهوَّرن أَو يسدُّ بُثوقا[٧]

---

(١) يشير بهذا البيت إلى قول لبيد :
ذهب الذين يعاش فى أكنافهـم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب
(٢) لصيقاً : ملاصقاً لى .
(٣) الغادى : من يأتى أول النهار . والرائح : الآتى آخره .
(٤) تبزغ : تطلع . وتبلج : ظهر .
(٥) أولية : منسوبة إلى أول ، يريد معدة سباقة . والبزار : بائع البذر ، وهو : الحب .
(٦) اللقم : مخفف لقم . والمنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .
(٧) طم الركية : دفنها وسواها . والركايا : جمع ركية ، وهى البئر ذات الماء ، وتهور البناء : تهدم وسقط . والبثوق : موضع الكسر فى شط النهر .

صاح بُلْعُومُه ، فقلنا : المنادى صاح فى حلقِه : الطريقَ الطريقا[١]

فإذا جيء بالخِوَان تفزَّعْـ تُ ، وأشفقْتُ أن يموت خنِيقا[٢]

بكاء قومه

يتحسر الشاعر فى هذه القصيدة على قومه الذين اختطف الموت عظماءهم ، ولم يكفهم ذلك بل اشتعلت بينهم نيران العداوة والبغضاء تنازعاً على الرئاسة ، والبحترى يحذرهم عواقب هذه الفرقة ، ويذكرهم بالشامتين المتربصين بهم :

أَقصِرْ ؛ فإن الدهرَ ليس بِمُقْصِرِ حتى يلُفَّ مُقَدَّماً بمؤخَّرِ[٣]

وإذا ذكرتُ بنى عُبيدٍ عَبَّدوا حُرَّ الدُّموعِ للَوْعةِ المتَذكِّرِ[٤]

أَكلتْهُمُ دُوَلُ الزمانِ ، وفلَّلَتْ من حدِّ شَوكتِهم صروفُ الأَدهُرِ[٥]

وأرى الضغائنَ ليس تَخبو منهُمُ فى مَعشرٍ إلا زكَتْ فى معشَرِ[٦]

مَهلًا بنى شِملالَ ، إن وُرُودَكم حوْضَ التقاطُعِ غيرُ سهلِ المصدَرِ[٧]

مـا بالُكم تتقاذَفون بأَعيُنٍ فى لحظِها جَمرُ الغَضَا المتسعِّرِ[٨]

تتجاذبون المجدَ جذْبَ تعجرُف وتعجرُفُ الأَمجادِ بعضُ المنكرِ[٩]

---

(١) البلعوم : مجرى الطعام فى الحلق .

(٢) تفزعت : خفت . وأشفق عليه : حاذر ، وخاف .

(٣) اقصر : كف ، واترك . ومقصر : كاف تارك . ويلف : يضم ، ويجمع .

(٤) عبيد (بالتصغير) : اسم أبى الشاعر وجده الثانى . وعبدوا حر الدموع : صيروا الدموع الحرة عبدة ، واللوعة : حرقة الحزن .

(٥) فلل السيف : ثلمه . والشوكة : القوة والبأس . وصروف الدهر : نوائبه .

(٦) الضغائن : الأحقاد . وتخبو : تخمد وتنطفئ . وزكت : نمت .

(٧) شملال : جده الثالث .

(٨) الجمر : النار المتقدة . والغضا : شجر من الأثل ، وجمره يبقى زمناً طويلا لا ينطفىء . والمستعر : المتقد المشتعل .

(٩) التعجرف : التكبر ، والبغى . والأمجاد : جمع ماجد .

إن التَّنازُعَ فى الرئاسةِ زَلَّةٌ ... لا تُستقالُ . ودعوة لم تُنصرِ[١]

أفنَى أوائلَ جُرْهُمٍ إفراطُهم ... فيه ، وأسرَعَ فى مَقَاوِلِ حِمْيَرِ[٢]

فتحاجَزُوا من قبلِ أن تتحاجزوا ... عن مَنْهلٍ صافٍ وربعٍ مُقْفِرِ[٣]

ومن العجائبِ أن غِلَّ صُدورِكم ... لم يُطْفَ للحدثِ الجليلِ الأكبرِ[٤]

أوَ ما ترونَ الشَّامتينَ أمامَكُمْ ... ووراءَكُمْ من مُضْمرٍ أو مُظْهرِ

من غير ذنْبٍ جئتموهُ سِوَى عُلاً ... زُهْرٍ لجدّكمُ الأَغَرِّ الأَزْهَرِ[٥]

وكأَنَّما شَرَفُ الشَّريفِ إذا انْتَمَى ... جُرْمٌ جنادُ على الوضيعِ الأَصْغَرِ[٦]

الشَّاعر الوصَّاف

ا ـ سحر الطَّبيعة :

يصف البحترى بعض مظاهر الجمال فى الوجود ، فمن ذلك :

جمال الرِّياض

فهذه روضة بدا زهرها متنوع الأشكال ، مختلف الألوان ، فكأنما هى نسيج موشى ، ومنه ما هو ذهبى مشرق على أغصانه المتمايلة فى فتور ، وذلك إذ يقول :

هَذِي الرِّياضُ بَدَا لطَرْفِكَ نَوْرُها ... فأَرتكَ أحسنَ من رياطِ السُّندُسِ[٧]

---

(١) الزلة : الخطيئة . واستقال : طلب أن ينهض من سقوطه .

(٢) جرهم : قبيلة يمنية . ومقاول حمير : ملوك اليمن .

(٣) تحاجزوا : تمانعوا . ويكون المنهل صافياً إذا لم يشرب منه أحد . وهذا كناية عن فنائهم .

(٤) الغل : الحقد .

(٥) زهر : متلألئة مضيئة .

(٦) الجرم : الذنب .

(٧) النور : الزهر ، أو الأبيض منه . والرياط : جمع ريطة ، وهى ملاءة قطعة واحدة ، وكلها نسيج واحد . والسندس : ضرب من منسوج الحرير .

يَنْشُرْنَ وشياً مُذْهَباً ، ومُدَبَّجاً ومَطارِفاً نُسِجت لِغَيْرِ الملبَسِ[١]
وأَرَتْكَ كافُورًا ، وتِبْرًا مُشْرِقاً فى قائمٍ مِثْلِ الزُّمُرُّدِ أَمْلَسِ[٢]
مُتَمايِلِ الأَعناقِ ، فى حَرَكاتِه كَسَلُ النَّعِيمِ ، وفترَةُ المتنعِّسِ[٣]
فإذا طَرَبْتَ إلى العُيُونِ وغُنْجِها فَأَجِلْ لحَاظَكَ فى عُيُونِ النَّرجِسِ[٤]

وتلك رياض بالجزيرة تداعب مياه دجلة ماءها ، ترى أزهارها منتثرة فيها كأنها ياقوت ، تأسر العين بألوانها إذا سطع عليها ضوء الشمس ، ويغرد فيها الطير ، فتتجاوب فى أرجائها أصوات الغناء ، وإذا ما هزت الريح أغصانها تمايلت ، كما تتمايل قدود العذارى ، واستمع إليه يقول :

سرى البرقُ يَلمَعُ فى مُزنةٍ تَمُدُّ إلى الأَرضِ أَشْطَانَهَا[٥]
فكَمْ بالجزيرةِ من روضَةٍ تُضَاحِكُ دِجْلَةُ ثُغْبانَهَا[٦]
تُريكَ اليواقيتَ منثورةً وقد جَلَّلَ النَّوْرُ ظُهْرَانَهَا[٧]
غَرَائبُ تخطَفُ لحظَ العُيُونِ إذا جَلَت الشمْسُ أَلوانَها[٨]
إذَا غرّدَ الطَّيرُ فيها ثَنَتْ إليكَ الأَغانىُّ ألحانَهـا[٩]
كأَنَّ العَذَارَى تَمَشَّى بها إذا هزَّت الريحُ أَفْنانَها[١٠]

---

(١) الوشى : نقش الثوب . والمذهب : المموه بالذهب . والمدبج : المنقوش . والمطارف : جمع مطرف ، وهو رداء من حرير ذو رسوم .

(٢) الكافور : نبت طيب زهره كزهر الأقحوان . والزمرد : حجر كريم شفاف شديد الخضرة .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف . (٤) الغنج : الملاحة فى العينين .

(٥) المزنة : السحابة الممطرة . والأشطان : الحبال ، يشبه بها خيوط المطر .

(٦) الثغبان : جمع ثغب ، وهو الغدير فى ظل جبل .

(٧) اليواقيت : جمع ياقوت ، وهو : حجر كريم صلب شفاف ، تختلف ألوانه ، وجلل : غطى . والظهران : جمع ظهر .

(٨) جلا : كشف .

(٩) ثنى الشىء : كان ثانيه ، والمعنى أن الطير إذا غرد فيها حمل إلى أذنيك ألحاناً كألحان الأغانى .

(١٠) العذارى : جمع عذراء ، وهى الفتاة . وتمشى . تتمشى . والأفنان : جمع فنن ، وهو : الغصن .

تَعانَقُ للقُرْبِ شَجْرَاؤُها عِناقَ الأَحِبَّةِ أَسْكانَها[١]
فطورًا تَقُومُ منها الصَّبَا وطَوْرًا تُمَيِّلُ أَغْصانَها[٢]
جَنُوحٌ تُنَقِّلُ أَفياءَها كما جرّت الخيلُ أَرسانَها[٣]

سحابة

يصف فى هذه الأرجوزة سحابة ذات رعد وبرق ألقت مطرها على الأرض . فرويت وتفتحت أزهار رباها ، وامتلأت غدرانها بالمياه :

ذاتُ ارتجازٍ بحنينِ الرَّعدِ مجرورةُ الذَّيلِ ،صدُوقُ الوعْدِ[٤]
مسفوحةُ الدّمعِ لغَيرِ وَجْدِ لها نسيمٌ كنسيمِ الوردِ[٥]
ورنَّةٌ مثلُ زئيرِ الأُسْدِ ولَمْعُ بَرْقٍ كسيوفِ الهنْدِ[٦]
جاءَتْ بها ريحُ الصَّبَا من نَجدِ فانتشرت مثلَ انتِثارِ العِقدِ[٧]
فراحتِ الأَرضُ بعيشٍ رَغْدِ من وشْيِ أَنْوارِ الرُّبا فى بُرْدِ[٨]
كأَنما غُدْرَانُها فى الوَهْدِ يَلْعبْن من حَبَابِها بالنَّرْدِ[٩]

---

(١) الشجراء : الشجر . والأسكان : جمع سكن ، وهو ما يستأنس به .
(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .
(٣) جنوح : من جنح إذا مال ، يريد الشمس . والأفياء : جمع فىء ، وهو : الظل . والأرسان : جمع رسن ، وهو : حبل الدابة .
(٤) ارتجز الرعد : صات . ومجرورة الذيل : تملأ الأفق ، وتتصل بالأرض .
(٥) مسفوحة الدمع : ذات دمع مراق . والوجد : الحب .
(٦) الرنة : الصوت . (٧) انتثرت : ألقيت متفرقة .
(٨) عيش رغد : طيب واسع ، والوشى : نقش الثوب . والربا : المرتفعات . والبرد : الثوب المخطط .
(٩) الغدران : جمع غدير ، وهو قطعة من الماء يتركها السيل . والوهد : الأرض المنخفضة . والحباب : الفقاقيع التى تعلو الماء . والنرد : اللعبة المعروفة (بالطاولة) .

obeikandl.com

الرّبيع الضاحك

هذه قطعة يصف فيها الربيع ، وهو مقبل على الكون ضاحكاً جميلا ، تفتحت باكورة ورده ، واخضر شجره ، ورق نسيمه باعثاً فى النفوس الفتنة والبهجة ، حتى كأنه أنفاس الأحبة :

أَتاكَ الرّبيعُ الطَّلْقُ يختالُ ضاحِكاً ... من الحسنِ ،حتَّى كادَ أن يتكلَّمَا

وقد نَبَّه النَّيْرُوزُ فى غَسَقِ الدُّجَى ... أَوائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأَمسِ نُوَّمَا(١)

يُفَتِّقُها بَرْدُ النَّدَى ، فكأَنَّهُ ... يُبثُّ حديثاً كان قَبلُ مُكَتَّمَا(٢)

فمن شجرٍ ردَّ الرَّبيعُ لباسَهُ ... عليه ،كما نشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنَمَا(٣)

أَحَلَّ ، فأَبدَى للعُيُونِ بَشَاشَةً ... وكان قذًى للعَيْنِ إذ كانَ مُحْرِمَا(٤)

ورقَّ نسيمُ الرِّيحِ ، حتَّى حَسِبتُه ... يجيءُ بأَنفاسِ الأَحِبَّةِ نُعَّمَا(٥)

من وصف الشام

يحن وهو بالعراق إلى رقة هواء الشام ، وما على ضفتى الساجور من الهضاب والكهوف :

حنَّتْ ركابى بالعِراقِ ، وشاقَها ... فى نَاجِرٍ بَرْدُ الشَّآمِ وريفُه(٦)

ومدافعُ السَّاجورِ حيثُ تقابَلَتْ ... فى ضفَّتَيْه تلاعُهُ وكهوفُه(٧)

---

(١) النيروز عند الفرس : أول أيام السنة الشمسية ، وغسق الدجى : ظلمة الليل . يريد أن مقدم الربيع يصحبه تفتح الورد .

(٢) يبث : يذيع . يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوماً فأذيع .

(٣) الوشى : نقش الثوب . ومنمم : محسن . ويشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٤) أحل : لبس ثياب الحل . والقذى : ما يقع فى العين فيؤلمها ، ويسيل دمعها من تبن ونحوه ، والمحرم : المتجرد من ثيابه فى الحج .

(٥) نعم : جمع ناعم وهو : قرير العين .

(٦) ناجر : الشهر الواقع فى صميم الحر .

(٧) مدافع الماء : أماكن اندفاعه . والساجور : نهر بمنبج مدينته . والتلاع : جمع تلعة ، وهى : ما ارتفع من الأرض . والكهف : كالمغارة فى الجبل ، إلا أنه أوسع منها .

ويصف شوقه إليه ، ويعده جنة عدن فى قوله :

أَزَاجِرٌ أنا جُرْدَ الخيلِ ، أُجْشِمُها ... سيرًا إلى الشَّامِ إغْذَاذًا وإيجَافا[١]

دَوافعٌ فى انخراقِ البرِّ ، موعدُهَا ... مَدَافِعُ البحرِ من بيروتَ أو يافا[٢]

حَتَّى نَحُلَّ ، وقد حلَّ الشرابُ لنا ... جنَّاتِ عدنٍ على السَّاجورِ أَلفافا[٣]

ويحب بطياس ، وروابيها المرتفعة ، ورياضها المبسوطة ، ومناهلها العذبة ، إذ يقول :

أَحْبِبْ إلينا بدار «عَلْوَةَ» من ... بِطْيَاسَ ، والمشرِفاتِ من أَكَمِه[٤]

بساطُ روضٍ تجرى مَنَابِعُهُ ... فى مُرْجَحِنٍّ الغَمَامِ مُنْسَجِمِه[٥]

يَفْضُلُ فى آسِهِ ونَرْجِسِهِ ... نُعْمَانَ فى طلحِهِ وفى سَلَمِه[٦]

أَرَضٌ عَذَاةٌ ، ومَشْرَفٌ أَرِجٌ ... ومَاءُ مُزْنٍ يَفِيض فى شَبَمِه[٧]

هل أَرِدُ العذْبَ من مَنَاهِلِه ... أَو أَطْرُقُ النَّازلينَ فى خِيَمِه[٨]

أما دمشق فبلد يملأ العين حسناً ، وها هو ذا يتغنى بجمالها وبحبها ونباتها :

أَمَّا دمشقُ فقد أَبدَتْ محاسِنَهَا ... وَقد وَفَى لك مُطْرِيها بما وَعَدا[٩]

---

(١) جرد الخيل : الخيل القصيرة الشعر . وأجشمها : أكلفها . والإيجاف والإغذاذ : الإسراع فى السير .

(٢) دوافع : أى تسير مسرعة كالماء المندفع ، وانخراق البر : البر المتسع .

(٣) الألفاف : جمع لف ، وهو البستان المجتمع الشجر الملتف النبات .

(٤) بطياس : قرية عند باب حلب . والأكم : جمع أكمة ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(٥) ارجحن الشيء : مال ، واهتز ، وانسجم : انصب .

(٦) الآس : الريحان . ونعمان : واد بين مكة والطائف . والطلح : شجر ضخم له شوك . والسلم : شجر يدبغ به .

(٧) أرض عذاة : طيبة . والمشرف : المكان المرتفع ، من شرف : ارتفع . والأرج : ذو الرائحة الطيبة . والمزن : جمع مزنة ، وهى : السحابة ذات الماء . والشبم : البرد .

(٨) المناهل : جمع منهل ، وهو : موضع الشرب .

(٩) المطرى : المبالغ فى المدح .

إذا أردتَ ملأْتَ العينَ من بلدٍ مُسْتَحْسَنٍ ، وزمانٍ يُشْبِهُ البلدا
يُمْسِي السَّحابُ على أجبالِهَا فِرَقاً ويُصْبِحُ النَّبتُ فى صحرائها بَدَدَا(١)
فلستَ تُبْصِرُ إلاَّ واكِفاً خَضِلاً أو يانِعاً خَضِرًا ، أو طائرًا غَرِدا(٢)

وهى لذلك جنة ، هواؤها ندى ، وماؤها سلسال عذب ، وعيشها حلو المذاق :

إنَّ دِمَشْقاً أصبحت جنَّـة مخضرّةَ الرَّوضِ عَذَاةَ البِراق(٣)
هواؤها الفضفاضُ غضُّ النَّدى وماؤُها السَّلسَالُ عذبُ المذَاق(٤)
والدَّهـرُ طَلقٌ بين أكْنَافِها والعيشُ فيها ذو حواشٍ رِقاق(٥)
وكيف لا نؤثِرُهـا بالهَوى وصيفها مثلُ شتاءِ العراق(٦)

من وصف العراق

كان الشام والعراق الوطنين الروحيين للشاعر ، وها هو ذا يصف ربوة بالعراق ، فيقول :

نَزَلُوا رَبْوَةَ العِراقِ ارتيـادًا أىُّ أرضٍ أشدُّ ذكرًا ، وأسْنَى(٧)
بين دَيْرِ العَاقُولِ مُرْتَبَعٌ يُشْـ ـرِفُ مُحتلُّهُ إلى دَيْرِ قُنَّى(٨)
حيثُ باتَ الزَّيتونُ مِن فوقِهِ النَّخْـ ـلُ عليه وُرْقُ الحمامِ تَغَنَّى(٩)

---

(١) البدد : المتفرق .
(٢) الواكف : السائل . والخضل : الندى المبتل . واليانع : الطيب المدرك الذى حان قطافه .
(٣) العذاة : الأرض الطيبة . والأبرق : كل ما اجتمع فيه سواد وبياض .
(٤) الفضفاض : الواسع . والسلسال : الماء العذب .
(٥) الأكناف : جمع كنف ؛ وهو الجانب . والحواشى : الجوانب .
(٦) آثره : اختاره ، وفضله .
(٧) الارتياد : الطلب ، وأسنى : من السناء ، وهو : الرفعة .
(٨) دير العاقول على شاطئ دجلة قريب من بغداد . وبالقرب منه دير قنى .
(٩) الورق : ما فى لونها بياض إلى سواد وتغنى : تتغنى .

وقال يصف منزله عند دجلة ، ومياه النهر ، وأمواجه ، وما على حافته من نخيل وأطيار :

منزلٌ لى بالعراقِ اخْتَرْتُهُ ... لم يَشُبْ حُرَّ يقينى فيه شَكّ

وإذا دِجلَةُ مدَّت شَأْوَهَا ... وجَرى جَرْىَ اللُّجَيْنِ المُنْسَبِك(١)

عارضَتْ رَبْعِى بفَيْضٍ مُزْبِدٍ ... بينَ أَمْواجٍ تَسَامى وحُبُك(٢)

يتكفَّى النخلُ فى حَافَاتِها ... بالقَمَارِىِّ تُغَنِّى أو تَبِك(٣)

حُنِيَتْ تلك العَرَاجِينُ على ... لؤلؤٍ غضٍّ ، وخُوصٍ كالشَّرَك(٤)

ويصف يوماً شاتياً عند دجلة فى متنزه لبغداد ، تصفر الرياح إذا مرت بأشجار الأثل فيه ، حتى تكاد تزعزعه ، ثم حملت إليه قطراً صغير الحب ، رواه ، كما روى الرياض على شاطئها ، وقد استدارت فى ذلك الموضع ، فكأنها هلال أو سوار :

رَضِينَا من مُخارق ، وابنِ خَيْرٍ ... بِصَوْتِ الأَثْلِ ، إذْ مَتَعَ النَّهارُ(٥)

تُزَعْزِعُهُ الشَّمالُ ، وقد تَـوَافَى ... على أَنْفاسِهَا قَطْرٌ صغارُ(٦)

غَـدَاة دجُنَّةٍ للغَيْثِ فيهـا ... خِلَالَ الرَّوضِ حجٌّ واعتِمارُ(٧)

كأَنَّ الرِّيحَ والقَطْرَ المُناجِى ... خَواطِرَهـا عِتابٌ واعتِذَارُ

كأَنَّ مَدَارَ دِجْلَةَ حين جَاءَتْ ... بأَجمعِها هلالٌ أو سِوَارُ

---

(١) الشأو : الغاية ، يريد بلغ مدها غايته واللجين : الفضة . والمنسبك : المذاب المفرغ فى قالب .

(٢) عارضه : سار حياله . والحبك : الدروع ، يريد بها الأمواه المتجعدة .

(٣) يتكفى : يطول . والقمارى : جمع قمرية وهى ضرب من الحمام . وتبك : أراد تبكى .

(٤) العرجون : قنو النخلة ، وهو من النخل كالعنقود من العنب . والغض : الطرى الناعم . والشرك : حبائل الصيد .

(٥) مخارق وابن خير من المغنين المشهورين . والأثل : شجر عظيم صلب الخشب . ومتع النهار : بلغ غايته وارتفاعه .

(٦) توافى القوم : تتاموا .

(٧) الدجنة : الظلمة . ويريد بالحج والاعتمار : الزيارة .

ويصف البحترى المتوكلية ، وهى مدينة بناها المتوكل قرب « سامراء » ، فيقول :

أَرَى المتوكِّلِيَّةَ قد تعالَتْ ... محاسِنُها ، وأكملَت التَّماما

قصورٌ كالكواكِبِ لامعاتٌ ... يَكَدْنَ يُضِئْنَ للسَّارِى الظَّلاَما

وبَرٌّ مثلُ وشْيِ البُرْد ، فيه ... جَنَى الحَوْذَانِ يُنْشَرُ والخُزَامَى[1]

إذا بَرَقَ الرَّبيعُ له كسَتْه ... غوادِى المُزنِ ، والرِّيحُ النَّعامَى[2]

غرَائِبَ من فُنُونِ النَّبْتِ ، فيها ... جَنَى الزَّهْرِ الفُرَادَى والتَّوَامَى[3]

تُضَاحِكُها الضُّحَا طورًا ، وطَوْرًا ... عليها الغيثُ ينسجمُ انسِجاما[4]

ب ـ الحيوان

أجاد الشاعر فى وصف ما تناوله من الحيوانات كالذئب ، وكان من أشهر وصافى الخيل :

ذئب ضار

يصف الشاعر فى هذه القصيدة ذئباً لقيه فى رحلة كان يقوم بها ليلا ، ويصور معركة دارت بينهما ، وانتهت بسقوط الذئب قتيلا ، وشواه البحترى له ، واتخاذ بعض لحمه طعاماً :

وَليلٍ كأَنَّ الصُّبحَ فى أُخْرَياتِهِ ... حُشاشَةُ نَصْلٍ ضَمَّ إفْرِنْدَهُ غِمْدُ[5]

---

(١) الحوذان : نبات زهره أحمر فى أصله صفرة . والخزامى : نبت زهره من أطيب الأزهار . والجنى : ما يجنى وينشر : يذيع .

(٢) الغوادى : جمع غادية ، وهى القادمة فى أول النهار . والمزن : السحاب ذو الماء . والنعامى : ريح الجنوب .

(٣) التوامى : المزدوجات .

(٤) انسجم الغيث : انسكب .

(٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وإفرند السيف : جوهره ووشيه .

تَسَرْبَلْتُهُ ، والذئبُ وسنانُ هاجعٌ ... بِعَيْنِ ابنِ ليلٍ ، مالهُ بالكرى عَهْدُ[١]

أثيرُ القَطَا الكُدْرِيَّ عن جَثَماتِه ... وتألفُنى فيه الثعالِبُ . والرُّبْدُ[٢]

وأَطْلَسَ ملءِ العيْنِ ، يحمِلُ زوْرَهُ ... وأضلاعُهُ من جَانِبَيْه شَوًى نَهْدُ[٣]

له ذَنَبٌ مثلُ الرِّشاءِ يَجُرُّه ... وَمَتْنٌ كَمَتْنِ القوسِ أعوجُ مُنْأَدُّ[٤]

طواهُ الطَّوَى ، حتى استمرَّ مريرُهُ ... فمافيه إلَّا العظْمُ والرُّوحُ والجلدُ[٥]

يُقَضْقِضُ عُضْلاً فى أَسِرَّتِهَا الرَّدَى ... كقضْقَضَةِ المقرُورِ أَرعَدَهُ البَرْدُ[٦]

سَما لى ، وبى من شِدَّةِ الجوعِ ما به ... ببيدَاءَ لم تُعْرَفْ بها عيشةٌ رَغْدُ[٧]

كِلانَا بها ذِئْبٌ يُحَدِّثُ نفْسَهُ ... بصاحِبه ، والجِدُّ يُتْعِسُهُ الجَدُّ[٨]

عوَى ،ثمَّ أَقْعَى ،فارتَجَزْتُ ، فَهِجْتُهُ ... فأَقبَلَ مثلَ البرقِ يَتْبَعُهُ الرَّعْدُ[٩]

فأَوْجَرْتُهُ خَرْقَاءَ تَحْسَبُ ريشَها ... على كَوْكبٍ يَنْقَضُّ ، واللَّيلُ مُسودُّ[١٠]

---

(١) تسربلته : سرت فيه . والوسنان : النائم غير المستغرق فى النوم . والهاجع : النائم . وابن الليل : دائم السير فيه . والكرى : النوم الخفيف .

(٢) أثير : أهيج . والقطا : جمع قطاة ، وهى : طائر فى حجم الحمام . والكدرى : المائل إلى السواد والغبرة . وجثماته : جمع جثمة ، كضربة ، وهى : المرقد . والربد : جمع أربد ، وهو : الأسد .

(٣) الأطلس : المغبر إلى سواد . وملء العين : طويل مهيب . والزور : أعلى وسط الصدر . والشوى : الأطراف . والنهد : البارز

(٤) الرشاء : الحبل . والمتن : الظهر . ومنأد : معوج .

(٥) الطوى : الجوع . واستمر مريره : قوى بعد ضعف .

(٦) يقضقض عضلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : جمع سرار وهو : الخط . والردى : الهلاك . والمقرور : من أصابه القر أى البرد .

(٧) سما لى : خرج لى ، وقصدنى . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب الواسع .

(٨) الجد (بكسر الجيم) : الاجتهاد . والجد (بالفتح) : الحظ . وأتعسه : أشقاه .

(٩) أقعى : جلس على مؤخره . وارتجزت : رفعت صوتى .

(١٠) أوجرته : طعنته . والخرقاء : السنان . وتحسب ريشها ... أى تظنها كوكباً منقضاً له ريش .

فما ازدادَ إلَّا جُـرْأةً وصَرَامةً ... وأيْقَنْتُ أنَّ الأمرَ منه هو الجِدُّ[١]

فأتبعتها أُخْرَى، فأَضْلَلْتُ نصلَها ... بحيثُ يكون اللُّبُّ، والرُّعبُ والحقدُ[٢]

فخرَّ، وقد أوردتُه مَنْهَلَ الرَّدَى ... على ظمإٍ، لو أنَّه عَذُبَ الوِرْدُ[٣]

وقُمْتُ، فجمَّعْتُ الحصى، فاشتويتُه ... عليه، وللرَّمضاءِ من تحته وَقْدُ[٤]

ونِلت خسيسًا منه، ثمَّ تركْتُهُ ... وأقلعتُ عنه، وهو منعفرٌ فرْدُ[٥]

فرس للغزو

يطلب الشاعر فى هذه القصيدة فرساً يغزو به أعداءه من الروم، وهو لذلك يطلبه قوياً سريعاً، ومما يلحظ فى القصيدة أن الشاعر قد استخدم كثيراً من الألفاظ الدقيقة فى موضعها، وإن قل استخدامها:

فأَعِنْ على غزوِ العدُوِّ بمُنْطَوٍ ... أحشاؤُه طيَّ الكتابِ المُدْرَج[٦]

إمَّا بأَشقرَ ساطعٍ أغْشَى الوغَى ... منه بمثْل الكوكبِ المتأَجِّج[٧]

مُتَسَرْبِلٍ شِيَةً طَلَتْ أعطافَه ... بِدَمٍ، فما تلقاهُ غير مُضَرَّج[٨]

أو أدهَمٍ صافى السَّوادِ، كأنَّه ... تحتَ الكَمِيِّ مُظَهَّرٌ بيَرَنْدَجِ[٩]

---

(١) الصرامة: المضاء.

(٢) أضللت نصلها: أدخلت حديدتها. وبحيث يكون... ، أى فى القلب.

(٣) المنهل: المورد.

(٤) الرمضاء: الأرض الحامية. والوقد: النار.

(٥) الخسيس: الدنىء الحقير. وأقلع عنه: تركه. ومنعفر: ممرغ فى التراب.

(٦) المدرج: الملفوف.

(٧) الأشقر: ذو لون يأخذ من الأحمر والأصفر. والوغى: الحرب. والمتأجج: الملهب.

(٨) متسربل: لابس للسربال وهو القميص. والشية: مصدر وشى الثوب: حسنه بألوان، ونقشه. والأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب، والمضرج: المصبوغ بالدم.

(٩) الأدهم: الأسود. والكمى: الشجاع: ولابس السلاح. واليرندج: صبغ.

ضَرِمٍ يهيج السَّوْطُ من شُؤْبُوبِهِ ... هَيْجَ الجَنَائبِ من حَرِيق العَرْفَج (١)

خَفَّتْ مواقِعُ وطئه . فلو أنَّهُ ... يجرى برمْلَةِ عالجٍ لم يُرهِج (٢)

أو أشْهَبٍ يَقَقٍ ، يضيءُ وراءَهُ ... مَتْنٌ كمتنِ اللُّجَّةِ المُتَرَجْرِجِ (٣)

تَخْفَى الحجُولُ ، ولو بَلَغْنَ لَبَانَه ... فى أَبيضٍ مُتَأَلِّقٍ كالدُّمْلُجِ (٤)

أَوْفَى بعُرْفٍ أسوَدٍ مُتَغَرْبِبٍ ... فيما يليه ، وحافرٍ فَيْرُوزَجِى (٥)

أو أبلَقٍ يَلْقَى العيونَ إذا بدا ... من كلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بنمُوذَجِ (٦)

جذلانَ تحسُدُهُ الجيادُ إذا مشى ... عَنَتاً بأَحسنِ حُلَّةٍ لم تُنْسَجِ (٧)

---

(١) ضرم : شديد الغضب . والشؤبوب : شدة اندفاع كل شىء . والهيج : الثورة والتحرك والانبعاث . والجنائب : جمع جنوب ، وهى : ريح الشمال . والعرفج : شجر . والمعنى أن الفرس يغضب ويهيجه السوط ، فيزيده شدة اندفاع ، كما تزيد ريح الجنوب نيران شجر العرفج اشتعالا .

(٢) عالج : موضع به رمل . وأرهج : أثار الغبار .

(٣) الأشهب هنا : الأبيض . واليقق : شديد البياض ناصعه . والمتن : الظهر . واللجة : معظم الماء .

(٤) الحجول : بياض القوائم . واللبان : الصدر . والدملج : حلق يلبس فى المعصم .

(٥) أوفى بالشىء : جاء به تاماً . والعرف : الشعر النابت فى محدب رقبة الفرس . ومتغربب : مسود حالك السواد . والفيروزج : حجر كريم أخضر .

(٦) الأبلق : ما فى لونه سواد وبياض .

(٧) العنن : الاعتراض فى المشى ، يريد مشى مختالا .

حـ ـ القصور العبّاسيّة :

عاصر البحترى خليفتين أولعا ببناء القصور ، هما : المتوكل ، وابنه المعتز ؛ فكان من الطبيعى أن يتغنى الشاعر بجمالها ، وضخامتها ، وأن يهنئ خليفتيه بما يبنيان :

الجعفرى

قصر بناه المتوكل ، وافتن فى زخرفته ، وجلب وسائل الحضارة إليه ، وشيده فوق ربوة عالية ، تجرى تحتها دجلة ، وأحاطت به حديقة فسيحة تلاعب الرياح أشجارها :

قد تمَّ حُسْنُ الجعْفَرِىِّ ، ولم يكُنْ ... ليتمَّ إلا بالخليفَةِ جَعْفَرِ

ملكٌ تبوَّأَ خيرَ دارٍ أُنْشِئَتْ ... فى خيرِ مَبْدًى للأَنَامِ ومَحْضرِ[1]

فى رأسِ مُشْرِفةٍ ، حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ ... وتُرابُها مِسْكٌ يُشَابُ بعَنْبَرِ[2]

مُخضَرَّةٌ ، والغَيْثُ ليسَ بسَاكِبٍ ... ومضيئةٌ ، واللَّيْلُ ليسَ بمُقْبِرِ

ظَهَرتْ لمُخْتَرَقِ الشَّمالِ ، وجاورت ... ظُلَلَ الغَمَامِ الصَّائبِ المُسْتَغْزَرِ[3]

فرفَعْتَ بنيانًا كأَنَّ مَنَارَهُ ... أَعلامُ رَضْوَى ، أَوشَوَاهِقُ خَيبَرِ[4]

عالٍ على لحظِ العُيُون ، كأَنَّما ... ينظُرْنَ منهُ إلى بياض المُشترى[5]

---

(١) تبوأ المكان وبه : أقام به . والمبدى : مكان البدو . والمحضر : مكان الحاضرة يريد فى خير مكان .

(٢) المشرفة : المرتفعة . ويشاب : يخلط .

(٣) ظهرت لمخترق الشمال : بدت مارة بشمال دجلة . والظلل : جمع ظلة وهى : السحابة المظلة والصائب : المسكوب المنصب . والمستغزر : الغزير .

(٤) رضوى : جبل منيف بالحجاز . وخيبر ناحية بالقرب من المدينة بها سبعة حصون

(٥) لحظ العيون : نظرها . والمشترى : أحد كواكب المجموعة الشمسية .

ملأَتْ جوانبُه الفضاءَ ، وعانَقَتْ ... شَرَفاتُه قِطَعَ السَّحاب المُمْطِرِ[١]

وتسيرُ دِجْلَةُ تحته ، ففناؤُهُ ... من لُجَّةٍ غَمْرٍ ، وروْضٍ أَخْضر[٢]

شَجَرٌ تُلاعبُه الرِّياحُ ، فتنثنى ... أَعطافُهُ فى سائحٍ مُتَمَجِّر[٣]

بركة الجعفرىّ

وضع المتوكل هذا القصر بركة أجاد فى إبداعها ، وجعل لها قنوات تصب الماء فيها بقوة ، ووضع فيها سمكاً ، وصور على جدرانها صوراً ، وأحاطها بالبساتين المزدهرة ؛ فقال البحترى يصف هذه البركة :

يامَنْ رأَى البِرْكةَ الحسناءَ رُؤْيتُها ... والآنساتِ إذا لاحتْ مَغانيها[٤]

بحَسْبِها أنَّها فى فَضْلِ رُتْبَتِها ... تُعَدُّ واحدةً ، والبحرُ ثانيها

ما بالُ دِجلةَ كالغَيْرَى : تنافِسُها ... فى الحُسْنِ طوراً ، وأَطواراً تُباهيها[٥]

كأَنَّ جنَّ سليمانَ الَّذِين وَلُوا ... إبداعَها ، فأَدقُّوا فى معانيها[٦]

فلو تمرُّ بها « بِلقِيسُ » عن عَرَضٍ ... قالت : هى الصَّرحُ ، تمثيلا وتشبيهاً[٧]

---

(١) الشرفات : جمع شرفة ، وهى : مثلثات أو مربعات تبنى متقاربة فى أعلى القصر .

(٢) الفناء : الساحة ، التى أمام البيت ، اللجة : معظم الماء . والغمر : الماء الكثير .

(٣) أعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب . والسائح : السائل .

(٤) المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل .

(٥) تنافسها فى الحسن : تحرص على أن تنال فى الحسن ما نالته البركة . وتباهيها : تفاخرها .

(٦) ولى الشىء : قام به . وإبداعها : إجادة عملها .

(٧) بلقيس : ملكة سبأ ، وكان لها قصر ممرد (مصقول) من قوارير (زجاج) . وعن عرض : على غرة . والصرح : القصر .

تنصَبُّ فيها وُفُودُ الماءِ مُعْجَلَةً ... كالخيلِ خارجةً من حَبْل مُجْريها[١]

كأنما الفِضَّـــةُ البَيْضَاءُ سائِلَةً ... من السَّبَائِك تجرِى فى مجاريها[٢]

إذا عَلَتْها الصَّبَا أبدَتْ لها حُبُكاً ... مِثْلَ الجَوَاشِنِ مصْقولاً حواشيها[٣]

فحاجِبُ الشَّمْسِ أحياناً يُضاحِكُها ... وريِّقُ الغيثِ أحياناً يُبَاكيها[٤]

إذا النجومُ تراءَتْ فى جَوانِبِها ... ليلا حسبتَ سماءً ركِّبتْ فيها

لا يبلغ السَّمكُ المحصورُ غايتَها ... لبُعْدِ ما بينَ قاصِيها ودانيها[٥]

يَعُمْنَ فيها بأَوْسَاطٍ مُجَنَّحَةٍ ... كالطَّيرِ تنغضُّ فى جَوٍّ خوافيها[٦]

لَهُنَّ صَحْنٌ رحيبٌ فى أسافِلِها ... إذا انحطَطْنَ ، وبَهْوٌ فى أعاليها[٧]

صُورٌ إلى صُورَةِ الدُّلْفِينِ ، يؤْنِسُهَا ... منه انزواءٌ بعينيهِ يُوَازِيهَا[٨]

---

(١) معجلة : مستحثة .

(٢) السبائك : جمع سبيكة وهى القطعة من الفضة أو نحوها ، ذوبت وأفرغت فى قالب .

(٣) الصبا : ريح مهبها الشرق . والحبك : جمع حبيكة ، وهى : الطريقة فى الرمل . والجواشن : جمع جوشن ، وهى : الدرع . والدرع ذات تغضن . والمصقول : الأملس . والحواشى : الجوانب . والمعنى : أن ريح الصبا تؤلف غضوناً على صفحة الماء ، فى أواسط البركة ، وتترك جوانبها مصقولة ؛ لأنها لا تتعرض لها .

(٤) حاجب الشمس : جانب منها . وريق الغيث : أوله وأفضله .

(٥) القاصى : البعيد . والدانى : القريب ، وبينهما طباق .

(٦) مجنحة : ذات أجنحة ، يريد بها الزعانف . وتنغض : تتحرك وتضطرب فى ارتجاف . والخوافى : ريشات فى الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٧) الصحن : الفضاء وسط الدار . والبهو : ما يضرب أمام البيوت منزلا للضيوف .

(٨) صور : جمع أصور ، وهو : المائل . والدلفين : سمكة بحرية . ويوازيها : يقابلها ويواجهها .

تَغْنَى بَسَاتينُها القُصوَى برؤْيتها عن السَّحَائِب مُنْحَلاً عَزاليها[١]

محفوفةٌ بريَاضٍ لا تزالُ تَرَى ريشَ الطَّواويسِ تحكِيه ويَحكِيها[٢]

د – إيوان كسرى* :

من غرر شعر البحترى فى الوصف هذه القصيدة التى يصف فيها إيوان كسرى ، وقد دفعه إلى زيارة هذا الإيوان رغبته فى أن يخفف عن نفسه آلام خطوب نزلت به ، فقام برحلة إلى المدائن عاصمة الفرس القديمة ، وكان إيوان كسرى لا يزال قائماً بها .

وقد اعترف البحترى فى هذه القصيدة بما كان للفرس من مجد عال وملك واسع ، ووصف من آثار الفرس الجرماز ، وهو بناء ضخم كان بالمدائن وعلى أحد جدرانه صورة لحرب دارت بين الروم والفرس ، أتقن الرسام فى تصويرها ، وأجاد البحترى فى وصفها ، ووصف الإيوان ، وجلاله ، ودقة صنعه ، وحدثنا الشاعر عما جال بنفسه من الخواطر ، وهو يجول فى هذه الآثار الضخمة ، وما مر به من خيال صور له ماضى هذه الآثار :

صُنْتُ نفسِى عمّا يُدَنِّسُ نفسِى وترفَّعْتُ عن جَدَا كُلِّ جِبْسِ[٣]

وتَمَاسَكْتُ حينَ زعْزَعَنى الدَّهـ ـرُ التِماساً منه لتَعْسِى ونَكْسِى[٤]

---

(١) غنى بالشىء عن غيره : اكتفى . والقصوى : البعيدة . والعزالى : جمع عزلاء ، وهى : مصب الماء من القرب ونحوها .

(٢) محكاه : شابهه .

* الإيوان : المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثه حيطان . وإيوان كسرى يريد به قصره .

(٣) الجدا : العطاء . والجبس : الجبان اللئيم .

(٤) تماسكت : ثبت . وزعزعنى : حركنى بعنف . ويريد نالنى بخطوبه . والتماساً منه : طلباً منه ومحاولة . والتعس : الهلاك أو الشر . والنكس : انقلاب الرجل على رأسه ، يريد بذلك الهزيمة والسقوط .

بُلَغٌ من صُبَابَةِ العَيْشِ عندى ... طَفَّفَتْها الأَيَّامُ تَطفيفَ بَخْسِ[١]

وبَعيدٌ ما بينَ وارِدِ رِفْـهٍ ... عَلَلٍ شُربُهُ ، ووارِدِ خِمْسِ[٢]

وكأَنَّ الزَّمـانَ أصبح محمُو ... لاً هواهُ مع الأَخَسِّ الأَخَسِّ[٣]

واشترائى العِراقَ خُطَّةُ غَبْنٍ ... بعدَ بَيْعِى الشَّآمَ بَيْعةَ وَكْسِ[٤]

لا تَرُزْنى مَزَاولاً لاختبارى ... عندَ هذِى البَلْوَى، فتُنْكِرَ مَسِّى[٥]

وقديمـاً عَهِدْتَنى ذَا هَنَـاتٍ ... آبياتٍ على الدَّنيّاتِ شُمْسِ[٦]

ولَقَدْ رابَنى نُبُوٌّ ابنِ عمِّى ... بعد لينٍ من جانبيهِ وأُنْسِ[٧]

وإذا ما جُفِيتُ كنتُ حَرِيًّا ... أن أُرَى غيرَ مُصْبِحٍ حيثُ أُمْسِى[٨]

حضرتْ رحلِىَ الهُمُومُ ، فوجَّهْـ ... ـتُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنْسِى[٩]

---

(١) البلغ : جمع بلغة ، وهى : ما يكفى من العيش ولا يزيد . والصبابة : البقية. وطففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٢) الرفه : لين العيش وطيبه . والعلل : الشرب تباعاً. والخمس (بالكسر) : من إظماء الإبل ، وهى : أن ترعى ثلاثة أيام ، وترد الماء فى اليوم الرابع . ويمثل بذلك حاله ، وأنه فى شظف من العيش .

(٣) محمولا هواه : يحب . والأخس : النذل . أى كأن الزمان يحب أنذال الناس ، ويظلم خيارهم .

(٤) اشترائى العراق : إقامتى بها . والغبن : الخداع ، وضعف الرأى . وبيع الشام : رحلته عنها مع أنها وطنه . والوكس : النقصان والخسران .

(٥) رازه : جربه . ومزاولا : محاولا . وتنكر مسى : تجدنى أبياً عنيفاً منكر الجانب .

(٦) الهنات : خصال (شر) . وآبيات على الدنيات : لا ترضى بالخسيس الدون ، بل تأنف منه . والشمس : العنيدة التى لا تذل .

(٧) رابنى : أوقعنى فى الريب ، وهو : الشك . والنبو : النفور والجفوة . وابن عمه : ربما كان يريد به الخليفة المنتصر ؛ فالبحترى قحطانى يمنى ، والخليفة عدنانى ؛ وقحطان وعدنان كأنهما أخوان ؛ لأنهما أبوا العرب ، وعليه يكون البحترى قد قال هذه القصيدة بعد قتل المتوكل وإعراض المنتصر عنه ، بعد أن هجاه فى رثاء أبيه .

(٨) الحرى : الخليق . والمعنى : إذا جفيت تنقلت ، فلا أصبح فى مكان حتى أمسى فى سواه .

(٩) حضرت : نزلت . والهموم : الأحزان . والعنس : الناقة الصلبة .

أتسلّى عن الخُطُوب وآسَى ... لمحلٍّ من آلِ ساسانَ درْسِ[١]

ذكَّرتنيهمُ الخُطُوبُ التَّوَالى ... ولقد تُذْكِرُ الخطوبُ وتُنسِى[٢]

وهُمُ خافِضونَ فى ظِلِّ عــالٍ ... مُشرِفٍ يُحْسِرُ العيونَ ويُخسِى[٣]

مُغلَقٍ بابُهُ على جَبَل القَبْـ ... ـقِ إلى دَارَتَىْ خِلاطٍ ومَكسِ[٤]

حِلَلٌ لم تكنْ كأطلالِ سُعْدى ... فى قِفارٍ من البَسَابِسِ مُلْسِ[٥]

ومَسَاعٍ لــولا المحاباةُ مِنِّى ... لم تُطقْها مَسْعَاةُ عَنْسٍ وعَبْسِ[٦]

نقل الدَّهْرُ عهدَهُنَّ عن الجِـ ... ـدَّةِ، حتَّى غَدَوْنَ أنْضاءَ لُبْسِ[٧]

فكأنَّ «الجِرمازَ» من عدم الأُنْـ ... ـسِ، وإخْلالِهِ بنيَّةُ رَمْسِ[٨]

لو تراهُ علمتَ أنَّ اللَّيــالِى ... جعلتْ فيه مأْتماً بعدَ عُرْسِ

وهو يُنبيكَ عن عجائبِ قومٍ ... لا يُشَابُ البيانُ فيهم بلَبْسِ[٩]

---

(١) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس . والدرس : الذى عفا أثره .

(٢) التوالى : المتتالية .

(٣) خافضون : ذوو عيش رغيد . وفى ظل عال : فى ظل قصر مرتفع ، ويريد به قصر الأكاسرة. ويحسر العيون : يضعفها ، إذا نظرت إليه ، لتتبين ارتفاعه . ويخسى : يرد العين كليلة .

(٤) جبل القبق : جبال القوقاز . والدارة : كل بلاد واسعة بين جبال . وخلاط ومكس : من بلاد أرمينية . يشير بذلك إلى ما كان لأصحاب القصر من واسع السلطان .

(٥) يذكر فى هذه الأبيات فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة ، وهى الطائفة من البيوت. والبسابس : جمع بسبس : وهو الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ. والملس : الخالية.

(٦) المساعى : جمع مسعاة ، وهى : المكرمة . ولم تطقها : لم تقدر عليها. وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة مضرية فى نجد .

(٧) الجدة : حالة الشىء الجديد . وأنضاء : جمع فضو ، وهو المهزول من الحيوان ، والثوب البالى . واللبس : الاستعمال ، أى أبلاها الدهر بعد الجدة .

(٨) الجرماز : بناء عظيم كان عند أبيض المدائن . والبنية : البناء . والرمس : القبر .

(٩) يشاب : يخالط . والبيان : المنطق الواضح . واللبس : عدم الوضوح .

فإذا مـــا رأيتَ صورةَ أنطَا ... كِيَةَ ارتَعْتَ بين رُومٍ وفرس[١]

والمنـــايا مواثِلٌ ، وأنوشِرْ ... وانَ يُزْجِي الصُّفُوفَ تحتَ الدِّرَفْسِ[٢]

فى اخْضِرَارٍ من اللِّباسِ على أشْـ ... ـقَرَ يختالُ فى صَبيغةِ وَرْسِ[٣]

وعِرَاكُ الرِّجـــالِ بين يَدَيْهِ ... فى خُفُوتٍ مِنهُم وإغماضِ جَرْسِ[٤]

من مُشِيحٍ يهوِى بِعامِلِ رُمْحٍ ... ومُلِيحٍ من السِّنانِ بتُرْسِ[٥]

تَصِفُ العينُ أنَّهُمْ جِدُّ أحيا ... ءٍ ، لهُم بينَهم إشارةُ خُرْسِ[٦]

يغْتلِي فيهمُ ارتيابِىَ ، حتى ... تتقرَّاهُمُ يداىَ بلمْسِ[٧]

قد سقانى ، ولم يُصَرِّدْ أبو الغَوْ ... ثِ على العَسكرين شَرْبةَ خَلسِ[٨]

من مُدامٍ تَخَالُها ضَوْءَ نَجْمٍ ... نوَّرَ اللَّيلَ ، أو مُجَاجَةَ شمْسِ[٩]

وتراهـــا إذا أجَدَّت سرورًا ... وارتياحاً للشَّاربِ المتحسِّى[١٠]

---

(١) أنطاكية : بلد بالشام وقعت عنده معركة بين الفرس والروم ، وقد صورت فى الإيوان . وارتعت : فزعت .

(٢) مواثل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . وأنوشروان : أحد الأكاسرة يدعى : خسرو الأول (٥٣١ — ٥٧٩ م) . ويزجى : يسوق . والدرفس : العلم الكبير .

(٣) يختال : يتبختر ويتكبر . والورس : نبات ذو صبغة صفراء .

(٤) الخفوت : سكوت الصوت . والجرس : الصوت . وإغماضه : إخفاؤه وإبهامه .

(٥) المشيح : الحذر المجد . وعامل الرمح : صدره والمليح : الحذر . والسنان : السيف . والترس : المجن .

(٦) تصف العين : تخيل لراقى الصورة .

(٧) يغتل : يزيد . وارتيابى : شك فى حياتهم . وتتقراهم : تتبعهم . أى أن الشك يداخلنى فى أنهم أحياء ، حتى ألمسهم فى الصورة بيدى ، لأتبين هل هم أحياء حقًّا كما يخيل إلى .

(٨) صرد الشراب : قلله . وأبو الغوث : ابن البحترى . وشربة خلس : شربة عاجلة .

(٩) المجاجة : الريق ترمى به من فمك .

(١٠) أجدت : أحدثت . وتحسى المرق : شربه شيئاً بعد شىء .

أُفرِغَتْ فى الزُّجاجِ من كلِّ قَلبٍ ... فهى محبُوبةٌ إلى كلِّ نَفسِ

حُلُمٌ مُطبِقٌ على الشَّكِّ عينى ... أم أمَانٍ غيَّرن ظنِّى وحَدْسِى (١)

وكأَن الإيوانَ من عَجَبِ الصَّنـ ... ـعةِ جَوْبٌ فى جَنْبِ أَرْعَنَ جَلْسِ (٢)

يُتَظَنَّى من الكآبةِ أَن يبـ ... ـدُو لِعَيْنَىْ مُصَبِّحٍ أو مُمَسِّى (٣)

مُزعَجاً بالفراقِ عن أُنسِ إلْفٍ ... عزَّ ، أو مُرْهَقاً بتطليقِ عِرْسِ (٤)

عكست حظَّهُ اللَّيالى ، وبات الـ ... ـمُشترَى فيه ، وهوكوكبُ نَحْسِ (٥)

فهو يُبْدِى تَجلُّدًا ، وعليهِ ... كَلْكَلٌ من كَلاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِى (٦)

لم يَعِبْهُ أن بُزَّ من بُسُطِ الدِّيبـ ... ـاجِ ، واستُلَّ من سُتُورِ الدِّمَقْسِ (٧)

مُشمَخِرٌّ تعـلو له شَرفاتٌ ... رُفِعَتْ فى رُءُوسِ رَضوى وقُدْسِ (٨)

لابساتٌ من البياضِ ، فما تُبْـ ... ـصِرُ منها إلَّا غلائلَ بُرْسِ (٩)

---

(١) الحدس : التوهم .

(٢) عجب الصنعة : الصنعة الدقيقة المتينة . والجوب : الخرق ، والأرعن : الجبل ذو الرعن (بسكون العين) وهو : أنف يتقدم الجبل . والجلس : الجبل العالى . أى أن الإيوان يلوح لمتانة بنيانه ودقة صنعته كأنه من فعل الطبيعة لا الإنسان ، فكأنه بيت منقور فى جبل ، اتخذه الأكاسرة مساكن لهم .

(٣) يتظنى : يظن . ويبدو : يظهر . والمصبح : رائيه صباحاً . والممسى : رائيه مساء .

(٤) المرهق : المكلف ما لا يطيق . والمعنى : يظن لرائيه فى الصباح أو فى المساء أنه يظهر أمام عينيه ، لما لبسه الإيوان من كآبة — كأنما أزعجه فراق أليف عزيز عنده ، أو كلف تطليق عروس يحبها .

(٥) المشترى كوكب يرمز به إلى السعادة ، ولكنه تحول فى هذا القصر فصار نحساً .

(٦) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر . والمرسى : الثابت .

(٧) بز : سلب . والديباج : الثوب الحريرى . واستل : أخرج وانتزع . والدمقس : الحرير .

(٨) المشمخر : العالى . والشرفات : ما ارتفع من بنائه . ورضوى ، وقدس : جبلان . والشاعر يشبه القصر فى ارتفاعه بهذين الجبلين .

(٩) الغلائل : جمع غلالة ، وهى : شعار يلبس تحت الثوب . والبرس : القطن أوشبيه به .

ليس يُدْرَى أَصُنْعُ إنس لِجنٍّ سكنوهُ ، أم صُنْعُ جِنٍّ لإنس

غير أنّى أراه يَشهَدُ أن لَمْ يَكُ بانيه فى المُلُوكِ بنِكْسِ[1]

فكأنّى أرى المواكبَ والقو مَ ، إذا ما بَلَغتُ آخِرَ حِسِّى[2]

وكأنَّ الوُفُودَ ضاحِينَ حَسْرَى من وُقُوفٍ خَلفَ الزِّحام وخُنْسِ[3]

وكأنَّ القِيانَ وَسْطَ المقاصيـ ـرِ يُرَجِّعْنَ بين حُور ولُعْسِ[4]

وكأنَّ اللِّقاءَ أوّلُ من أمـ ـسِ ، ووشْكَ الفِرَاق أوّلُ أمس[5]

وكأنَّ الذى يريد اتِّباعاً طامِعٌ فى لِقائِهم صُبْحَ خَمس[6]

عُمِّرَت للسُّرُور دَهْرًا ، فصارَتْ للتَّعَزِّى رِبَاعُهُمْ والتَّأَسِّى[7]

فلَهـا أن أُعينَها بدموعٍ مُوقَفَاتٍ على الصَّبابةِ حُبْسِ[8]

ذاك عندى ، وليست الدارُ دارى باقترابى منها ، ولا الجنسُ جنسى

غيرَ نُعْمَى لأهلها عند أَهْلِى غرسُوا من زَكائها خيرَ غَرس[9]

---

(١) النكس : المقهور الذليل .

(٢) يتخيل الشاعر ماضى القصر ، وما كان له من مجد ، وما كان يملؤه من وسائل الترف والنعيم .

(٣) حسرى : كاشفين عن رءوسهم . والخنس : المتأخرون .

(٤) القيان : المغنيات . والمقاصير : حجرات المنزل . ويرجعن : يرددن ويكررن . والحور : جمع حوراء ، وهى : ذات العين التى اشتد بياض بياضها وسواد سوادها . واللعس : جمع لعساء ، وهى : من فى شفتها سواد مستحسن .

(٥) وشك الفراق : أى الفراق السريع .

(٦) أى كأن من يريد أن يتبعهم ليلتقى بهم طامع فى هذا اللقاء ، بعد أن يسير خمس ليال ، يلقاهم صبح الليلة الخامسة .

(٧) التعزى : التبصر والتسلى . والتأسى : اتخاذ الأسوة .

(٨) موقفات على الصبابة : محبوسات على الولع الشديد . وحبس : لا تتعداها .

(٩) الذكاء : النماء .

أيَّدوا مُلكَنا . وشدُّوا قُواهُ بحُمَاةٍ تحتَ السَّنَوَّر حُمْسِ[١]

وأعـانوا على كتائب أرْيا طَ بطعن على النُّحور ودَعْسِ[٢]

وأرانى من بَعْدُ أكلفُ بالأشْـ رافِ طُرًّا من كل سِنخٍ وجِنسِ[٣]

هـ – معركة بحرية :

يصف الشاعر فى هذه القصيدة قائداً بحرياً تحت إمرته جند شجعان التقوا بجند الروم فى البحر ، يقودون أسطولا ضخماً . ودارت المعركة بين الفريقين فى قوة وعنف ، وانتهت بهزيمة الروم :

غدوْتَ على الميمونِ صُبحاً ، وإنما غدا المركَبُ الميمونُ تحت المظفَّرِ[٤]

أطلَّ بعطفيْهِ ، ومرَّ ، كأنما تشرَّفَ من هادِى حِصانٍ مُشهَّرِ[٥]

إذا زمجر النُّوتىُّ تحت عَلاتِه رأيتَ خطيباً فى ذُؤابةِ مِنْبَرِ[٦]

إذا عَصَفَتْ فيه الجَنوبُ اعتلى له جناحا عُقابٍ فى السماءِ مُهَجِرِ[٧]

---

(١) الحماة : المانعون لحوزتهم . والسنوّر : كل سلاح من حديد . والحمس : الشجعان . وهو يشير بذلك إلى ما بذله الفرس من جهد فى إقامة الدولة العباسية .

(٢) أرياط : قائد حبشى فتح اليمن . وقد أخرج اليمنيون الأحباش بمعونة الفرس . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى : الفرقة من الجيش . والدعس : الدوس والطعن .

(٣) أكلف : أولع . والسنخ : الأصل والمنبت .

(٤) الميمون : اسم السفينة .

(٥) بعطفيه ، الضمير يعود على المركب . وعطفا الرجل : جانباه ، من لدن رأسه إلى ركبته . وعطف كل شىء : جانبه . وتشرف من أعلى الموضع : أشرف وعلا . والهادى : العنق .

(٦) الزمجرة : كثرة الصياح والصخب والصوت . النوتى : الملاح . والعلاة : الناقة المشرفة الجسيمة . وذؤابة كل شىء : أعلاه . والمعنى : إذا صاح النوتى فوق بنائه المتين المشرف بدا لك كأنه خطيب فوق أعلى المنبر .

(٧) عصفت الريح : اشتدت . والجنوب : ريح تقابل الشمال . والعقاب : طائر من الجوارح : والمهجر : السائر فى الحر الشديد .

إذا ما انكفا فى هَبْوَةِ الماء خِلْتَهُ ... تلفَّعَ فى أثناء بُرْدٍ مُحَبَّرِ (١)

وحولكَ رَكَّابونَ للهوْلِ ، عاقَروا ... كُئوسَ الرَّدى: من دارعينَ ،وحُسَّرِ (٢)

تَميلُ المَنايا حيثُ مالَتْ أكُفُّهُمْ ... إذا أصْلَتوا حدَّ الحديدِ المذكَّرِ (٣)

إذا رَشَقُوا بالنَّار لم يكُ رشقُهمْ ... ليُقْلِعَ إلَّا عن شِواءٍ مُقَتَّرِ (٤)

صَدَمْتَ بِهِمْ صُهْبَ العَثَانِينِ دونهم ... بضرْبٍ كإيقادِ اللَّظَى المتَسَعِّرِ (٥)

يسوقُون أُسطولاً ، كأنَّ سفينَه ... سحائبُ صيفٍ ،من جَهامٍ ومُمطِرِ (٦)

كأنَّ ضَجيجَ البحرِ بينَ رماحِهم ... إذا اختلَفَتْ ترجيعُ عَوْدٍ مُجَرْجِرِ (٧)

تُقاربُ من زحْفَيْهِمُ ، فكأنَّما ... تؤلَّفُ من أعناقِ وحْشٍ مُنَفَّرِ (٨)

فما رِمْتَ ،حتى أجْلَت الحربُ عن طُلًى ... مُقَطَّعةٍ فيهم . وهامٍ مُطَيَّرِ (٩)

---

(١) انكفأ : انكب . وهبوة الماء : ما ارتفع ودقه من الماء ، كالملاءة عند هبوب الرياح ، وانكباب السفينة فى البحر . وتلفع بالثوب : تغطى به . والأثناء : الطيات . والبرد : الثوب المخطط . والمحبر : المزين الموشى .

(٢) الهول : الأمر المفزع العظيم . وعاقر الشيء : لازمه وأدمن عليه . والدارع : لابس الدرع . وحسر : جمع حاسر : من لا درع له ولا مغفر ، والمغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة .

(٣) أصلت السيف : جرده . والمذكر من السيوف : الصارم ذو الماء .

(٤) رشقوا بالنار : رموا بها . وأقلع عنه : كف عنه وتركه . والشواء : ما شوى من اللحم وغيره . والمقتر : من قتر اللحم : سطعت رائحته .

(٥) الصهب : جمع أصهب ، وهو : من فى شعره حمرة . والعثانين : جمع عثنون وهو : اللحية . ويريد بصهب العثانين : الروم . واللظى : النار أو لهبها . والمشعر : المتقد المشتعل .

(٦) الجهام : السحاب لا ماء فيه . يشبه المراكب بالسحب فى السماء ، وهى فى حركتها فى القتال تتحرك كسحائب الصيف .

(٧) اختلفت الرماح : أقبلت ، وأدبرت . والترجيع : الترديد والتكرير . والعود : المسن من الإبل . وجرجر البعير : ردد الصوت فى حنجرته .

(٨) يصور حركة اقتراب الأسطولين .

(٩) رمت : فارقت المكان . وأجلى : كشف . والطلى : جمع طلية وهى : العنق .

على حينِ لا نَقْعٌ تُطوِّحُه الصَّبَا ... ولا أرضَ تُلْفَى للصَّريعِ المقَطَّرِ (١)
وكنتَ ابنَ كسْرى ، قبلَ ذاكَ وبعده ... مليًّا بأَن تُوهِي صَفَاةَ ابنِ قيْصرِ (٢)
جَدَحْتَ له الموتَ الزُّعافَ ، فعافَه ... وطار على ألواحِ شَطْبٍ مُسَمَّرِ (٣)
مضَى ،وهو مَوْلى الرِّيحِ ،يشكرُ فضلَها ... عليه ، ومن يُولَ الصَّنيعةَ يَشْكُرِ (٤)
تعلَّق بالأَرضِ الكبيرةِ ، بعد ما ... تنقَّصهُ جرْىُ الرَّدَى المتمَطِّرِ (٥)

و– سيف :

قد جُدْتَ بالطِّرفِ الجَوَادِ ، فَثَنِّهِ ... لأَخيكَ من أُدَدٍ أَبيك بمُنْصُلِ (٦)
يتنـاولُ الرُّوحَ البعيدَ مَنَالُهُ ... عفْوًا ،ويَفْتحُ فى القضاءِ المقْفَلِ (٧)
ماض ، وإن لم تُمْضِهِ يَدُ فارسٍ ... بطَلٍ ، ومصقولٍ ، وإن لم يُصْقَلِ (٨)
يَغْشَى الوَغَى ، فالتُّرْسُ ليس بِجُنَّةٍ ... من حدِّهِ ، والدِّرْعُ ليس بمعْقِلِ (٩)

---

(١) النقع : الغبار . والصبا : ريح مهبها الشرق . وقطره : ألقاه على قطره أى جانبه وشقه .

(٢) كان قائد الأسطول فارسياً ، ولذا لقبه بابن كسرى . وتوهى : تضعف . والصفاة : الحجر الصلد الضخم . ويريد بابن قيصر هنا الروم ، أو أمير أسطولهم .

(٣) جدح السويق : لته ، يريد طبخت له وهيأت . والزعاف : الذى يقتل سريعاً . وعافه : كرهه . والشطب : الطويل الحسن . يصف المركب الذى فر عليه قائد أسطول الروم .

(٤) مولى : عبد . وأولاه صنيعة : قدم إليه إحساناً .

(٥) الأرض الكبيرة : الواسعة . أى أنه لجأ إلى الأرض الواسعة بعد أن ضاق البحر به ، هارباً أمام الموت . وتنقصه : أخذ منه قليلا . والردى : الهلاك . والمتمطر : المسرع الذى يعدو بسرعة .

(٦) الطرف : الكريم من الخيل . والمنصل : السيف . وثنه : أى اجعل السيف عطية ثانية ، بعد العطية الأولى ، وهى الجواد الكريم . وأدد : أحد أجداد الشاعر ، وأحد أجداد من يطلب الشاعر منه السيف .

(٧) عفواً : من غير طلب .

(٨) الماضى : القاطع . والمصقول : الناعم الأملس .

(٩) الوغى : الحرب . والترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه . والجنة : كل ما وقى من السلاح . والدرع : قميص من زرد الحديد ، يلبس وقاية من سلاح العدو . والمعقل : الملجأ .

مُضْغٍ إلى حُكمِ الرَّدَى ، فإذا مضَى ... لم يلتَفِتْ ، وإذا قَضى لم يَعْدِلِ[١]

مُتألِّقٍ يَفرِى بأوَّل ضربةٍ ... ما أدْرَكَتْ ، ولو انها فى يَذْبُلِ[٢]

وإذا أصاب فكلُّ شَىْءٍ مقْتَلٌ ... وإذا أُصيبَ فما له من مَقْتَلِ

وكأنما سُودُ النِّمالِ وحُمرُها ... دبَّتْ بأيدٍ فى قَرَاهُ وأرجُلِ[٣]

وكأن شاهِرَهُ إذا استَعْصَى به ... فى الرَّوْعِ يعصِى بالسِّماكِ الأعزَلِ[٤]

ز- فى الشيب :

ناكَرَتْ لِمَّتى ، وناكَرْتُ منها ... سوءَ هذى الأخْلافِ والأعْواضِ[٥]

شعراتٌ أقصُّهنَّ ، ويرجِعْـ ... ـنَ رجوعَ السِّهام فى الأغراضِ[٦]

ورُوَاءُ المَشِيبِ كالنُّخْسِ فى عيـ ... ـنى ، فقل فيه فى العيون المِرَاضِ[٧]

---

(١) لم يلتفت : لم يصرف وجهه عما أراد . ولم يعدل : لم يمل ولم يحد .

(٢) تألق : لمع . وفرى الشىء : قطعه ، وشقه . ويذبل : اسم جبل .

(٣) النمال : جمع نملة ، والقرا : الظهر .

(٤) شهر السيف : سله . واستعصى به : ضرب به . والروع : الفزع . ويعصى : يضرب . والسماك الأعزل : نجم نير .

(٥) ناكرت : عابت . واللمة : ما تشعث من الشعر . والشعر المجاوز شحمة الأذن . والأخلاف : جمع خلف ، وهو البدل . والأعواض جمع عوض .

(٦) الأغراض : الأهداف .

(٧) الرواء : حسن المنظر . والنخس : غرز الجنب بعود أو نحوه . والمراض : جمع مريضة ، وهى العين الفاترة . أى إذا كان جمال المشيب يؤذى عينى فما بالك به فى العيون الفاترة للغوانى .

٤ ـ الشاعر الغنائى

ا ـ فى الفخر :

طيئ

يفتخر البحترى فى قصيدة طويلة بقبيلة طيئ التى ينحدر منها ، وقد دار فخره بها حول صفات ، منها البأس وما يتبعه من شجاعة ونجدة ، والكرم ، وكثرة العديد ، ورجاحة الأحلام ، والفصاحة ، ومن تلك القصيدة :

إن قومى قومُ الشَّريفِ قديماً ... وحديثاً ، أبُوَّةً ، وجُـدُودا

ذهبتْ طيّئٌ بســابقةِ المجـ ... ـدِ على العالَمِينَ ، بـأْساً وجُودا

فإذا المحْلُ جاء جاءُوا سُيولاً ... وإذا النقعُ ثارَ ثاروا أسودا[1]

يحْسُنُ الذِّكرُ عنهمُ والأَحاديـ ... ـثُ ، إذا حدّث الحديثُ الحديدا

معْشَرٌ يُنْجِزُون بالخير والشَّـ ... ـرِّ يَدَ الدهرِ ـ موعِدًا ووعيدا[2]

يَفْرِجون الوَغَى ، إذا ما أَثار الـ ... ـضَّرْبُ من مُصْمَتِ الحديدِ صَعيدا[3]

بوجوهٍ تُعْشِى السُّيوفَ ضِياءً ... وسُيوفٍ تُعْشِى الوجوهَ وقُودا[4]

عَدَلوا الهَضْبَ من تِهامَةَ أحلا ... ماً ثقالا ، ورَملَ نجدٍ عديدا[5]

ملكوا الأَرضَ قبل أن تُملَكَ الأَر ... ضُ وقادوا فى حافتيهـا الجُنودا

سائل الدهرَ مُذْ عرفناه هل يعـ ... ـرِفُ منَّا إلا الفَعَالَ الحميدا

---

(١) المحل : الجدب . النقع : الغبار .

(٢) يد الدهر : مد زمانه .

(٣) فرج الشيء : وسعه . والوغى : الحرب ، والمصمت : الذى لا جوف له . والصعيد : التراب

(٤) تعشى : تفسد بصرها . والوقود : التلألؤ .

(٥) عدلوا : ساووا . والهضب : جمع هضبة ، وهى : الجبل المنبسط على وجه الأرض .

قد لَعَمْرى رُزناهُ كهلاً ، وشيخًا ورأينـــاه ناشئاً ، ووَليدا[١]

وطويْنـــا أيامَه ولياليـ ـه على المكرُماتِ بيضاً ، وسُودا

لم نزَلْ قطُّ مذ ترَعرعَ نكسو هُ ندًى ليِّناً ، وبأساً شديدا

فهْو من مجدِنا يروحُ ، ويغْدُو فى عُلاً لا تَبِيدُ حتى يَبِيـــدا[٢]

نحن ، أبناءُ يَعْرُبٍ ، أعربُ النَّا س لساناً ، وأنضَرُ الناسِ عودا[٣]

وكأنَّ الإلهَ قال لنـــا فى الـ ـحرب : كونوا حِجارةً ، أو حديدا

نباهة الذكر

يفتخر الشاعر فى هذه القصيدة بمكانته التى نالها عند الخلفاء ، فنادمهم ، وسعد بالحياة فى ظلهم ، وقبلوا شفاعته ، وبمكانته عند العرب ، فقد أعان محتاجهم ، وفك أسيرهم :

أَبُنَىَّ إنى قدْ نَضَوْتُ بَطَالَتِى فتحسَّرتْ ،وصَحَوْتُ من سَكَرَاتى[٤]

نظرَتْ إلىَّ الأربعونَ ، فأصرخَتْ شيْبِى ، وهزَّت للحُنوِّ قنـــاتى[٥]

وأرَى لِداتِ أبى تتابَعَ كُثْرُهُمْ فمضَوْا ، وكرَّ الدّهرُ نحو لِداتى[٦]

ومن الأقاربِ مَن يُسرُّ بميتَتى سفَهاً ، وعِزُّ حياتِهم بحياتى[٧]

إنْ أبقَ أو أَهْلَكْ ، فقد نلتُ التى ملأَتْ صُدورَ أقاربى وعُداتى

---

(١) رزناه : جربناه .

(٢) تبيد : تفنى .

(٣) يعرب : جد عرب اليمن . وأنضر : أجمل .

(٤) نضوت : نزعت ، وخلعت . البطالة : الهزل . وتحسرت : انكشفت .

(٥) أصرخت : أعانت ، والحنو : الانحناء . ويريد بالقناة : القامة . يريد أن بلوغه الأربعين أعان الشيب على أن يعيث فى رأسه ، وأغرى قامته أن تنحنى .

(٦) اللدات : جمع لدة ، وهو : من ولد معك . والكثر : نقيض القل . وكر : انقض .

(٧) السفه : الجهل .

وغنِيتُ ندْمَانَ الخلائفِ نابِهًا ... ذِكرى ، وناعمةً بهم نَشَوَاتى[١]

وشَفعْتُ فى الأمر الجليل إليهمُ ... بعدَ الجليلِ . فأَنجحُوا طَلَباتى

وصنعتُ فى العربِ الصنائعَ عندهم ... من رِفْدِ طُلَّابٍ . وفكِّ عُناةِ[٢]

فالآنَ إذْ ناصَيتُ أعنانَ العُلا ... ورَقِيتُ منها أرفعَ الدَّرَجاتِ[٣]

يجرِى ، لِيَدْخُلَ فى غُبار تَسرُّعى ... مَن ليس يَعشِر فى الرِّهانِ أَنَاتى[٤]

ويذيمُنى مَن لو ضَغمتُ قبيلَهُ ... يوم الفَخارِ لطارَ فى لَهواتى[٥]

ب ـ فى العتاب :

عتاب الفتح

يعاتب البحترى بهذه القصيدة الفتح بن خاقان ، وقد تحدث فى أولها عن ألمه من الحياة بعد أن سخط عليه الفتح ، واستبعد أن يأخذه الفتح بأقوال الأعداء وذهب إلى ما أنشأه من مدائح فيه ، وأكد له أنه لا يعرف ذنبا أساء به إليه ، وذكره بسابق الود الذى كان بينهما :

عَذِيرى من الأيّام ، رنَّقْنَ مشربى ... ولَقَّيْنَنى نَحساً من الطَّير أشأَما[٦]

وأكْسَبْنَنى سُخْطَ امرئٍ بتُّ مُوهِناً ... أرى سُخطَه ليلاً مع اللَّيلِ مُظلِما[٧]

---

(١) غنى : أقام . والنشوات : جمع نشوة ، وهى : السكرة ، ويريد بها الحياة السعيدة .

(٢) الصنائع : جمع صنيعة ، وهى : الإحسان . والرفد : العطاء ، والمعونة . والعناة : الأسرى .

(٣) ناصى الشىء الشىء : اتصل به . وأعنان العلا : أطرافها .

(٤) يعشر : يبلغ العشر . والرهان : السباق . والأناة : التأنى .

(٥) يذيمنى : يذمنى ، ويعيبنى . وضغمه : عضه بملء فمه . واللهوات : جمع لهاة ، وهى : اللحمة فى أقصى سقف الحلق .

(٦) عذيرى من الأيام : أى أننى إذا لمت الأيام وشكوت منها وجدت من يعذرنى فى ذلك . ورنقن : كدرن . ولقينى . . . إلخ يريد : وجعلننى متشائماً . وكان العرب يتفاءلون بالطير إن مرعن أيمانهم ، ويتشاءمون إن مرعن يسارهم .

(٧) الموهن : من دخل فى الوهن من الليل ، والوهن : نحو منتصف الليل .

تبلَّجَ عن بعضِ الرِّضا ،وانطَوى على ... بقيّةِ عتْبٍ شارفَتْ أن تصرَّما[١]

وأصْيدَ إن نازعتُه اللَّحظَ. ردّه ... كليلاً ،وإن راجَعْتُه القولَ جَمجَما[٢]

ثناه العِدَا عنّى ، فأصحبَ مُسرعاً ... وأوهَمَهُ الواشون ، حتى توهَّما[٣]

وقد كان سهلاً واضحاً ، فتوعّرت ... رُباهُ ، وطَلْقاً ضاحكاً ، فتجهَّما[٤]

أمُتَّخِذٌ عندى الإساءةَ مُحْسنٌ ... ومنتقمٌ منّى امرؤٌ كان مُنعِما

ومكتسبٌ فىَّ الملامَةَ ماجِدٌ ... يرَى الحمدَ غُنماً ، والملامةَ مَغْرَما[٥]

يُخوِّفُنى من سوءِ رأيكَ مَعشرٌ ... ولا خَوْفَ إلَّا أن تجورَ ، وتظلِمَا

أُعيذُك أن أخْشاكَ من غيرِ حادثٍ ... تبيَّنَ ، أو جُرْمٍ إليكَ تقدَّما[٦]

ألَسْتُ المُوَالِي فيكَ غُرَّ قصائدٍ ... هى الأنجمُ اقتادتْ مع الليلِ أنجُمَا[٧]

ولو أنَّنى وقّرْتُ شعرى وقَارَهُ ... وأجللتُ مدحى فيك أن يُتَهضَّما[٨]

لأكْبرْتُ أن أومِى إليكَ بإصبَعٍ ... تضَرُّعُ ، أو أدْنى لمَعذِرةٍ فما[٩]

وكان الذى يأْتى به الدهرُ هيِّناً ... علىَّ ، ولو كان الحِمامُ المقدَّما

---

(١) تبلج : أشرق ، وأضاء . وانطوى على : أخفى . وشارفت : قاربت وتصرم : أى تتصرم : تنقضى .

(٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبراً . ونازعته اللحظ : جاذبته . والكليل : الضعيف . وجمجم الكلام : لم يبينه .

(٣) ثناه : صرفه . وأصحب : انقاد .

(٤) توعر : صعب وتعسر . وتجهم : عبس .

(٥) الملامة : اللوم . والماجد : العزيز الرفيع . والغنم : الفوز . والمغرم : ما يعطى من المال على كره .

(٦) الجرم : الذنب .

(٧) الغر : المشهورة .

(٨) تهضمه : ظلمه ، وأذله .

(٩) أومأ : أشار . وتضرع : أى تتضرع : تخضع ، وتذل .

ولكنّني أعْلى محلّكَ أنْ أرَى ... مُدِلاً ، وأستحيِيك أن أتعظّما[١]

أعِدْ نظرًا فيما تَسَخَّطْتَ ، هل تَرَى ... مقَالاً دنيئاً ، أو فَعالاً مُذَمَّما[٢]

رأيتُ العراقَ ناكَرَتْني ، وأقْسَمَتْ ... علىَّ صروفُ الدهرِ أن أتَشأَما[٣]

وكان رجائى أن أئوبَ مُملَّكاً ... فصار رجائى أن أئوبَ مسلَّما

وما مانعٌ ممَّا توهَّمْتُ غيرَ أنْ ... تذَكَّرَ بعضَ الأُنس أو تتذمَّما[٤]

وأكبرُ ظنِّى أنكَ المرءُ لم تكنْ ... تُحلِّلُ بالسَّنِّ الذِّمامَ المُحَرِّما[٥]

ولم أعرف الذَّنْبَ الذى سُؤْتَنى له ... فأَقْتُلَ نفسى حَسرةً وتندُّما

ولو كان ما خُبِّرْتَهُ أو ظَنَنْتَهُ ... لما كان غَرْوًا أن أَلُومَ ، وتَكْرُمَا[٦]

أذكِّرُك العهدَ الذى ليسَ سُؤْدُدًا ... تَنَاسِيه ، والوُدَّ الصَّحيحَ المسلَّما

وما حملَ الرَّكبانُ شرقاً ومغرباً ... وأنجدَ فى أعلى البلادِ ، وأتهَما[٧]

أُقِرُّ بما لَمْ أجْنِه ، متنصِّلاً ... إليكَ ، على أنِّى إخالك ألْوَمَا[٨]

لِيَ الذَّنْبُ معروفاً ،وإن كنتُ جاهلاً ... به ، ولك العُتْبَى علىّ ، وأنْعمَا[٩]

---

(١) أدل : وثق بمحبته فأفرط عليه .

(٢) تسخطه : تغضب عليه وتكرهه .

(٣) صروف الدهر : نوائبه . وأتشأم : أسير إلى الشام .

(٤) تذكر : تتذكر . وتذمم : تجنب ما يذم عليه .

(٥) الذمام : الحق والحرمة .

(٦) لما كان غزواً : لما كان عجباً . وألوم : ألوم .

(٧) أنجد : أتى نجداً . وأتهم : فزل تهامة .

(٨) تنصل من الجناية : تبرأ منها . وألوم : أحق بأن تلام .

(٩) العتبى : الرضا . وأنعما : يريد وأنعمن ، بنون التوكيد الخفيفة .

جـ ـ فى الغزل :

أكثر ما للبحترى من غزل هو ما جعله مقدمة لأغراضه الأخرى فى الشعر ، حيث حدثنا عن كثير من عواطف الحب ، فى القرب والبعد ، والرضا والسخط ، فمن ذلك :

جمال الحبيبة

فهو عندما يتحدث عما فى قلبه من الحب ، يصف جمال من يحب ، والحبيبة فى القصيدة بيضاء ، مرهفة القد ، تمشى فى دلال ، وتميل من اللين ، ورديّة الخد ، ساحرة العين :

أُخْفِى هوًى لكِ فى الضُّلُوعِ ، وأُظْهِرُ ... وأُلامُ فى كَمَدٍ عليكِ ، وأُعْذَرُ[١]

وأَراكِ خُنْتِ على النَّوى مَن لم يَخُنْ ... عهدَ الهوَى، وهجرتِ من لا يهجُرُ[٢]

وطلبتُ منكِ مودّةً لم أُعْطَها ... إنَّ المُعَنَّى طالبٌ لا يظفَرُ[٣]

هل دَيْنُ «عَلْوَةَ »يُسْتطَاعُ ،فيُقْتَضَى ... أَوْظُلْمُ «عَلْوَةَ »يَسْتَفِيقُ ،فيُقْصِر[٤]

بيضاءُ ، يُعطيكَ القضيبُ قوامَها ... ويُريكَ عَيْنَيها الغزالُ الأَحْوَرُ[٥]

تمشى ، فتحكُمُ فى القُلُوبِ بدَلِّها ... وتميسُ فى ظلِّ الشباب وتخطُرُ[٦]

وتميلُ من لِينِ الصِّبا ، فيُقيمُها ... قَدٌّ يوَنَّثُ تارةً ، ويُذَكَّرُ[٧]

---

(١) الكمد : المرض والغم .

(٢) النوى : البعد .

(٣) المعنى : المكلف ما يشق عليه .

(٤) اقتضى الدين : طلبه وأخذه . ويستفيق : يصحو ، وأقصر عن الأمر : أمسك عنه مع القدرة عليه .

(٥) حورت العين : اشتد بياض بياضها وسواد سوادها .

(٦) الدل : التلوى . وتميس : تمشى وهى تتمايل وتتبختر .

(٧) قد يؤنث . . . أى يتلوى مرة ويعتدل مرة أخرى .

إنى وإن جانَيْتُ بعض بَطالَتى ... وتَوَهَّم الواشون أنِّىَ مُقصِر[١]

لَيَشُوقُنى سِحْرُ العيُون المُجْتَلى ... ويروقُنى وردُ الخدودِ الأَحمرُ[٢]

ويراها أعطيت من الجمال ما لم يعطه الناس :

أُعْطِيتْ بَسْطَةً على النَّاس حتى ... هى صِنْفٌ فى الحسن والنَّاسُ صِنْفُ[٣]

اعتدالٌ يُميلُ منـــه انخِناثٌ ... وتَثَنٍّ فيه الفخامةُ لُطْفُ[٤]

بل يرى الحبيبة أجمل ما فى الوجود ، وهو لذلك يحبها حباً تجدده الليالى :

شوقٌ إليكِ تَفيضُ منه الأَدْمُعُ ... وجَوًى عليكِ تَضيقُ عنه الأَضْلُعُ[٥]

وهَوًى تُجدِّده اللَّيـــالى كُلَّما ... قَدُمَتْ وتُرْجعُه السِّنُونَ ، فيرجع

إنى وما قصدَ الحجيجُ ، ودُونهم ... خَرْقٌ تَخُبُّ به الرِّكابُ وتوضِعُ[٦]

أُصْفِيكِ أَقصى الوُدِّ غيرَ مُقَلَّلٍ ... إن كان أَقْصى الوُدِّ عِندكِ يَنْفَعُ[٧]

وأَرَاكِ أَحسَنَ مَنْ أَرَاهُ وإن بَدَا ... منكِ الصّدودُ ، وبان وصْلُكِ أَجمعُ[٨]

يعتادُنى طربى إليكِ ، فيغْتَـــلى ... وجدى ، ويدعونى هواكِ ، فأَتبَعُ[٩]

كلِفاً بحبِّك مُولَعاً ، ويسرُّنى ... أَنِّى امرؤٌ كلِفٌ بحبِّكِ مولَعُ[١٠]

---

(١) البطالة : الهزل . ومقصر : ممسك عن اللهو .

(٢) يشوقنى : يهيجنى .

(٣) البسطة : الكمال .

(٤) الانخناث : البسطة والثنى .

(٥) الجوى : شدة الوجد من العشق .

(٦) الخرق : القفر . والخبب نوع من عدو الدابة . والركاب : الإبل . وتوضع : تسرع .

(٧) أصفى فلاناً الود : أخلصه له .

(٨) بان : انقطع .

(٩) الطرب : الشوق . ويغتلى : يسرع .

(١٠) الكلف : المحب حبا شديداً .

فراق وذكرى

يصف الشاعر موقف وداع لمن يحب ، انهملت فيه الدموع ، ولم يشفه اللقاء السريع . ومضى الشاعر مفارقاً يذكر من يهوى كلما رأى مشابه من حبيبه ، الذى لا يقبل فى حبه لوماً :

أكنتَ مُعَنِّفى يومَ الرَّحيلِ ... وقد لجَّتْ دُمُوعى فى الهُمُولِ[١]

عشيّةَ لا الفراقُ أفاءَ عَزْمِى ... إلىَّ ، ولا اللِّقاءُ شَفَى غليلى[٢]

دَنَتْ عند الوَدَاعِ لوَشْكِ بُعْدٍ ... دُنُوَّ الشَّمْسِ تَجْنَحُ للأَصِيلِ[٣]

وصدَّتْ ،لا الوصالُ لها بقَصْدٍ ... ولا الإسعافُ منها بالمَخيلِ[٤]

تُليمُ إساءَةً ، وأُلامُ حُبًّا ... وبعضُ اللَّوْمِ يُغْرِى بالخليلِ[٥]

طَرِبْتُ بذى الأَراكِ ، وشوَّقتْنى ... طوالِعُ من سَنَا برق كَليلِ[٦]

وذكَّرَنيكِ ، والذِّكرى عَنَاءٌ ... مَشَابهُ فِيكِ بيِّنةُ الشُّكُولِ[٧] :

نسيمُ الرَّوض فى ريحٍ شمالٍ ... وصَوْبُ المُزْنِ فى راحٍ شَمُولِ[٨]

عذيرى من عَذُولٍ فيكِ يلحَى ... عَلَىَّ ، أَلاَ عَذِيرٌ من عَذُولِ[٩]

---

(١) عنفه : لامه بشدة . ولج فى الأمر : لازمه ، وأبى أن ينصرف عنه ، والهمول : فيضان الدموع .

(٢) الهشية : أول الظلام . وأفاء : أرجع . والغليل : العطش الشديد .

(٣) الوشك : السرعة . ووشك بعد : بعد سريع . وجنح إليه : مال . والأصيل : الوقت بين العصر والمغرب .

(٤) أسعفه بحاجته : قضاها له . والمخيل : المظنون .

(٥) تليم إساءة : تفعل ما تستحق عليه اللوم من الإساءة . ويغرى : يحض .

(٦) طرب : اهتز فرحاً أو حزناً ، وذو الأراك : موضع . والسنا : الضوء . والكليل : الضعيف .

(٧) الشكول : جمع شكل ، وهو : الشبه والنظير .

(٨) صوب المزن : انصباب المطر . والشمول : الباردة من الخمر .

(٩) يلحى : يلوم . وعذيرى من عذول : أى من يقدم عذرى لعذول يلومنى على حبك .

تجرَّمت السُّنُونَ ، ولا سبيلٌ إليكِ ،وأنتِ واضِحَةُ السَّبيل[١]

وقد حاولتُ أن تخِدَ المطايا إلى حيٍّ على حَلَبٍ حُلُولى[٢]

ولو أنِّى ملكتُ إليكِ عزمِى وَصَلْتُ النَّصَّ منها بالذَّميل[٣]

حبيبة بالشام

يصور الشاعر لنفسه جمال حبيبته ويؤكد اتجاه قلبه الدائم إلى من يحبه بالشام ، برغم ما بينهما من القفار الشاسعة :

أَلَمْعُ برقٍ سَرَى؟ أم ضوءُ مِصْبَاحِ؟ أَم ابتسامتُها بالمنظَرِ الضَّاحى؟[٤]

يا بُؤْسَ نفسٍ عليها جدَّ آسِفَةٍ وشَجْوَ قَلبٍ إليها جدَّ مُرْتَاحِ[٥]

تَهْتَزُّ مثلَ اهْتزَاز الْغُصْنِ أَتْعَبَهُ مرورُ غيثٍ من الوسمىِّ سَحَّاحِ[٦]

ويرجعُ اللَّيلُ مبيضًّا إذا ابتَسَمَتْ عن أَبيضٍ خَصِرِ السِّمْطَين لمَّاحِ[٧]

وجدتِ نفسَكِ من نفسِى بمنزلةٍ هى المُصافاةُ بين الماءِ والرَّاحِ[٨]

أُثْنى عليكِ بأَنِّى لم أَجِدْ أَحدًا يلحَى عليكِ ،وماذا يزعُمُ اللاَّحى[٩]

---

(١) تجرمت : انقضت .

(٢) تخد : تسرع . والمطايا : الدواب التى تركب . وحلول : جمع حال : مقيم بالمكان .

(٣) النص : استحثاث الناقة استحثاثاً شديداً . والذميل : السير اللين .

(٤) سرى : مشى ليلا . والضاحى : المنكشف . يريد ابتسامتها وهى سافرة . وهذا النوع من الاستفهام يدعى فى البديع بتجاهل العارف .

(٥) جد منصوبة على المصدرية ، ويراد بها المبالغة . والشجو : الحزن . ومرتاح : نشيط إلى تذكرها .

(٦) الغيث : المطر . والوسمى : أول مطر الربيع . والسحاح : المنصب انصباباً متتابعاً غزيراً .

(٧) أبيض : صفة لثغر محذوف . والخصر : البارد . والسمطين : صفى أسنانها . ولماح : لامع .

(٨) المصافاة : خلوص الود .

(٩) يلحى : يلوم . والاستفهام فى : وماذا يزعم اللاحى للإنكار .

وليلةَ القصر ، والصَّهْبَاءُ ناصِرَةٌ ... للَّهْو بين أباريقٍ وأقداح[١]

أرسلتِ شُغْلَيْن: من لفظٍ. محاسنُه ... تُدْوى الصَّحيح ولفظٍ. يُسْكِرُ الصَّاحى[٢]

حيَّيْتُ خدَّيكِ ،بل حيَّيْتُ من طَرَبٍ ... وردًا بوَرْدٍ . وتفَّاحاً بتُفَّاح

كم نظرةٍ لى حِيالَ الشَّامِ ، لو وصلت ... رَوَتْ غَليلَ فؤادٍ منكِ مُلْتَاحِ[٣]

والعِيسُ ترمِى بأَيديها على عَجَلٍ ... فى مَهْمَهٍ مثل ظَهْرِ التُّرس رَحْرَاحِ[٤]

جديرة بالحب

يرى الشاعر أنه ليس من العدل أن يلام فى حب « علوة » ، فيستعطفها ، ويرسل إليها سلامه . ويؤكد لها حرصه على ودها برغم تنائى الديار :

عَذِيرى فيكِ من لاحٍ . إذا ما ... شكوتُ الحُبَّ حرَّقَنى مَلاَمَا[٥]

فلا وأَبيكِ ، ما ضيَّعْتُ حِلْماً ... ولا قَارَفْتُ فى حُبِّيكِ ذاما[٦]

أُلاَمُ على هواكِ . وليس عَدْلاً ... إذا أَحبَبْتُ مِثْلَكِ أن أُلاَما

لقدْ حرَّمْتِ من وصلى حَلالاً ... وقد حلَّلتِ من هجرى حَرامَا[٧]

أَعيدِى فىَّ نظرةَ مُسْتَثِيبٍ ... توخَّى الأَجْرَ ، أو كرهَ الأَثاما[٨]

---

(١) الصهباء : الخمر . والأقداح : جمع قدح ، وهو إناء يشرب فيه .

(٢) أدوى : أمرض .

(٣) حيال الشام : قبالتها وإزاءها . والغليل : العطش . وملتاح : عطشان .

(٤) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف . والمهمه : المفازة البعيدة . والترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه . والرحراح : الواسع .

(٥) اللاحى : اللائم . وحرقنى : أحرقنى .

(٦) الحلم : الصبر والأناة . وقارف الذنب : داناه . والذام : العيب .

(٧) فى هذا البيت طباق بين الوصل والهجر ، والحلال والحرام .

(٨) المستثيب : طالب الثواب . وتوخى الأمر : تطلبه دون سواه . والأثام : الإثم .

تَرَىٰ كبـــدًا محرَّقةً ، وعيناً مـــوْرّقة ، وقلباً مُسْتَهَامَا[١]

تناءت دارُ «عَلْوَةَ» بعد قُرْبٍ فهل رَكْبٌ يُبلِّغُها السلاَمَا

وجـــدَّد طيفُها عَتْباً علينا فمـــا يعتادُنا إلَّا لِمَـــامَا[٢]

وقد علمتْ بأنِّى لم أُضيِّعْ لها عهدًا ، ولم أُخْفِرْ ذِمَاما[٣]

لئنْ أضْحَتْ مَحَلَّتُنَـــا عِرَاقاً مشرِّقةً . وحِلَّتُهـــا شآما[٤]

فلم أُحْدِثْ لها إلَّا وِدَادًا ولم أزْدَدْ بهـــا إلَّا غَرَامَا

طيف الحبيب

تحدث البحترى كثيراً عن الطيف ، وهو فى هذه القطعة يشبهه بالنسيم يهب من ناحية الروض ، ويصف فرحه بمقدمه ، ولكنه يعود فيراه لم يطفْ غلته ، فيدفعه ذلك إلى الشكوى من الحبيب ، كما قال :

أَجِدَّكَ ما ينفكُّ يَسرى لزَينَبَا خَيَالٌ إذا آب الظَّلامُ تأوَّبَا[٥]

سَرَى من أعَالى الشَّامِ يَجلُبُهُ الكَرَى هُبوبَ نسيمِ الرَّوضِ تجلُبهُ الصَّبا[٦]

وما زارَنى إلَّا وَلِهْتُ صَبَابةً إليه ، وإلَّا قُلتُ : أهلاً ، ومرحبَا[٧]

وليْلَتَنَا بالجزْعِ بات مُسَاعِفاً يُرِينى أناةَ الخطو ناعِمَةَ الصِّبا[٨]

---

(١) استهيم الرجل : ذهب فؤاده ، وخلب عقله من الحب .

(٢) يعتادنا لماماً : يزورنا غباً .

(٣) لم أخفر ذماماً : لم أنقض عهداً .

(٤) المحلة : الحلة : مكان الحلول والنزول .

(٥) آب : رجع . وتأوب : ورد ليلا .

(٦) الكرى : النوم . والصبا : ريح مهبها من الشرق .

(٧) ولهت : تحيرت من شدة الوجد .

(٨) الجزع : موضع . والمساعف : المساعد . وأناة الخطو : المرأة فيها فتور عند المشى .

أضرَّتْ بضوءِ البدرِ ، والبدرُ طالعٌ وقامتْ مقامَ البدرِ ، لَمَّا تغيَّبا
ولو كان حقًّا ما أتَتْهُ لأطفأتْ غليلًا ، ولافتكَّتْ أسيرًا مُعذَّبا(١)
علمتُكِ إن مَنَّيْتِ مَنَّيْتِ موعدًا جَهَاماً ، وإن أبرقْتِ أبرقتِ خُلَّبَا(٢)
فوا أسفى ، حتَّامَ أسألُ مانعاً وآمَنُ خوَّاناً ، وأُعتِبُ مذنبا(٣)

ويراه مرة أخرى سبباً لتجديد اللقاء والفراق ، وما يصحبهما من سرور وأسى ، إذ يقول :

مُقيتِ الغَوادِى من طُلولٍ وأرْبُعٍ وحُيِّيتِ من دارٍ لأسماءَ بَلْقَعِ(٤)
وإن كنتُ لا موعودُ أسماءَ راجِعى بنُجْحٍ ،ولاتسويفُ أسماءَ مُقْنِعى(٥)
ولا نافعٌ سَكْبُ الدُّموعِ التى جَرَتْ عليها ، ولا فَرْطُ الحَنينِ المرجَّعِ(٦)
فلا وَصلَ إلَّا أن يُطيفَ خيالُها بناتحتَ جُوْشوشٍ من الليلِ أسفَعِ(٧)
ألمَّتْ بنا بعد الهدوءِ ،فسامَحَتْ بوَصلٍ متى نَطلُبهُ فى الجِدِّ تمنعِ(٨)
ومابَرِحَتْ حتى مَضَى اللَّيلُ ،فانقضَى وأعجَلَها داعى الصباحِ المُلَمَّعِ(٩)
فولَّتْ كأنَّ البَيْنَ يَخْلِجُ شخصَها أوَانَ تولَّتْ من حَشايَ وأضلُعى(١٠)

(١) الغليل : العطش الشديد . وافتكت : خلصت .
(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه . والبرق الخلب : الذى يكون فى سحاب لا مطر فيه
(٣) أعتبه : أرضاه ، وأزال عتبه .
(٤) الطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . والأربع : جمع ربع ، وهو : الدار . والبلقع : الأرض القفر .
(٥) التسويف : المطل .
(٦) رجع فى صوته : ردد ، وكرر .
(٧) الجوشوش : القطعة من الليل ، والأسفع : الأسود .
(٨) سامح بكذا : تساهل فيه .
(٩) برح المكان : زال عنه . والملمع : ذو الألوان المختلفة ، وذلك لاختلاط الظلام بالضوء ونور الشمس .
(١٠) يخلج شخصها : يجعلها تضطرب ، وتتحرك ، وتتمايل .

أرانىَ لا أنفكُّ فى كلِّ ليْلةٍ تُعاوِدُ فيها المالِكيَّةُ مَضْجَعى[١]
أَسَرُّ بقُرْب من مُلِمٍّ مُسَلِّمٍ وأَشْجَى ببَيْنٍ من حبيبٍ مودِّعِ[٢]
وكائِنْ لنا بعد النَّوَى من تَفَرُّقٍ تُزَجِّيه أحلامُ الكَرَى ، وتَجَمُّعِ[٣]
ومن لَوْعةٍ تعتادُ فى إثْر لَوْعــةٍ ومن أدمُع ترفَضُّ فى إثْر أدْمُعِ[٤]

ومرة يسعد بالطيف ، ولكنه يذكره بالحبيب النائى ؛ فيعاهد نفسه على أن يجعل هذا النأى المؤقت وسيلة لقربه من الحبيب قرباً دائماً ، إذ يقول :

أَجِرْنى من الواشى الذى جارَ ،واعتَدَى وغابِرِ حبٍّ غارَ بى ثمَّ أَنْجَدَا[٥]
وإلَّا فأَسعِدْنى بدمعِكَ ، إنهُ يُهَوِّن ما بى أن أَرَى لىَ مسْعِدا[٦]
سقَى الغيثُ أجزاعاً عهِدْتُ بجوِّها غزالاً تُرَاعِيه الجآذِرُ أغْيَدَا[٧]
إذا ما الكَرَى أهْدَى إلىَّ خيالَهُ شَفَى قُرْبُهُ التَّبريحَ ،أونَقَعَ الصَّدَى[٨]
إذا انتزعتْهُ من يَدَىَّ انتِباهَةٌ عَدَدْتُ حبيباً راح منِّىَ أو غدا
ولم أرَ مثْلَيْنا ، ولا مِثلَ شأْنِنا نُعَذَّبُ أيقاظاً ، ونَنعَمُ هُجَّدا[٩]

---

(١) المالكية : من يتنزل فيها .
(٢) الملم : النازل بالقوم . وشجى يشجى : حزن . والبين : الفراق .
(٣) وكائن لنا : وكم لنا . والنوى : البعد وتزجيه : تسوقه وتدفعه .
(٤) اللوعة : حرقة الهوى . وترفض : تسيل .
(٥) الغابر : الباقى ، والماضى . وغار : أتى الغور ، وهو ما انحدر من الأرض ، وأنجد : أتى نجداً ، والمراد أن حبه ذهب به كل مذهب .
(٦) أسعدنى : عاونى .
(٧) الأجزاع : جمع جزع وهو : محلة القوم . وتراعاه : التفت إليه . والجآذر : جمع جؤذر ، وهو : ولد البقرة الوحشية ، ويشبه الشعراء الحسناء به لجمال عينيه . والأغيد : مائل العنق (كبراً) ، ولين الأعطاف .
(٨) التبريح : الشدة . ونقع الصدى : سكن العطش وقطعه .
(٩) الهجد : جمع هاجد ، وهو النائم .

تَصَعَّدُ أنفاسى جَوًى وتَشَوُّقاً إذا البرقُ من غربىٍّ دِجْلَةَ أصعدا[١]

وما ذاكَ إلَّا لوْعةٌ لكَ زادها تَنائِى الديار جِدَّةً ، وتوقُّدَا

فمن غاب يَنْوى نِيَّةً عن حبيبِه وهجرًا ، فإنِّى غِبْتُ عنكَ لأشهدا[٢]

٥ ـ الشاعر الحكيم

لم يشتهر البحترى بالحكمة ، ولكن كان له فيها بعض نظرات نثرها فى قصائده ، وكان الظرف الذى أنشئت فيه القصيدة يستدعيها :

فضل الفتى

لا يرى البحترى فى إعجاب المرء بنفسه ، ولا فى نظافة ثوبه ، وما يركبه فضلا ، ولكن فى أفعاله الكريمة :

أبا جعفرٍ ، ليسَ فضلُ الفتَى إذا راحَ فى فَرْطِ إعجابِهِ

ولا فى فَرَاهَةِ بِرْذَوْنِه ولا فى نظـــافَةِ أثْوَابِه[٣]

ولكنَّهُ فى الفَعَال الكريـ ـم ، والخَطَر الأشرفِ النَّابِهِ[٤]

كما لا يراه فى حسب[٥] يفتخر به صاحبه ، حتى يكون فعله موافقاً هذا الحسب :

لا أحْفِلُ المرءَ ، أو تُقَدِّمهُ شَتَّى خِلالٍ أشَفُّها أدَبُه[٦]

ولَسْتُ أعتدُّ للفتَى حسباً حتَّى يُرَى فى فَعَاله حَسَبُه

---

(١) تصعد : تتصعد .

(٢) ينوى نية ، يريد نية قذفاً ، أى رحلته بعيدة . فإنه غبت عنك لأشهدا : يشير إلى قول الشاعر : « سأطلب بعد الدار عنكم ، لتقربوا » ، أى أنه غاب ليحقق آماله فى الثروة والجاه مما يهيئ له العودة إلى من يحب ، والحياة بجواره حياة هانئة سعيدة .

(٣) فراهة البرذون : حذقه فى المشى . والبرذون : الفرس .

(٤) النابه : الرفيع .

(٥) الحسب : ما يعترض مفاخر الآباء .

(٦) حفل به : بالى به واهتم له . وأشفها : أظهرها .

عدل الصّديق

لا يريد البحترى من صديقه سوى العدل فى المعاملة :

شَرْطِيَ الإنصافُ، إن قيل : اشترِط ... وصَديقى مَنْ إذا صَافَى قَسَطْ.(١)

أدَعُ الفَضْـــلَ ، فلا أَطْلُبه ... حسبِيَ العدلُ من الناس فقطْ.(٢)

الرِّحلة للرِّزق

لا يرى البحترى البقاء فى بلد لا يظفر فيه المرء بآماله ، بل يدعوه إلى الرحلة فى الشرق والغرب ؛ لأن نيل الآمال فى الرحلة والانتقال ؛ فلا يقل إنسان : كيف أنتقل بين أمم شتى ؛ فالأرض متشابهة الأجزاء ، والناس متشابهون فى العادات :

شَرِّقْ ؛ وغرِّبْ ؛ فعهدُ العاهِدِين بما ... طَلَبْتَ فى ذَمَلانِ الأَينُقِ الذُّلُلِ(٣)

ولا تقُل : أُمَمٌ شتَّى ، ولا فِرَقٌ ... فالأَرضُ من تُرْبةٍ ، والناسُ من رَجُل

خفِّض همومك

راحة المرء فى تصغير الهموم ، أما هؤلاء الذين يكبرونها ، فإنهم يزيدون الحياة شقاء :

خفِّضْ عليكَ من الهُمُوم ، فإنَّما ... يَحْظَى براحةِ دهره من خَفَّضَا

وارفُضْ دنيَّاتِ المطامِع ، إنَّهَا ... شَيْنٌ يَغُرُّ ، وحقُّها أن تُرْفَضَا(٤)

---

(١) قسط : عدل .

(٢) الفضل : الزيادة .

(٣) الذملان : السير اللين . والأينق : جمع ناقة . والذلل : جمع ذلول ، وهو : سهل القياد .

(٤) دنيات : خسيسات . والشين : العيب .

القلب الشجاع

ينسب الشاعر إلى القلب أكبر الأثر فى الإقدام، أما وسائل القتال فقليلة الغناء من غير قلب جرىء :

يُقِلُّ غَنَاءَ القوسِ نَبْعٌ نجَارِهَا ... وساعدُ مَنَ يرمى عن القَوْسِ خِرْوَعُ[1]

فَلا تُغْلِينْ بالسَّيْفِ كلَّ غَلائِه ... ليَمْضِى، فإنَّ القلبَ لا السَّيْفَ يَقْطَعُ[2]

وليس السيف من غير قلب سوى زينة لا تنفع :

وما السَّيفُ إلاَّ بَزُّ غادٍ لِزينةٍ ... إذا لم يكُنْ أمْضى من السَّيفِ حاملُه[3]

الوفاء والحلم

إذا كان الشاعر قديراً على إيذاء عدوه فهو وفى لأصدقائه ، يحفظ ودهم إذا غابوا . وهو حليم لا يغضب ما دام واجداً فى الحلم ما يغنيه عن الغضب :

إنِّى وإن كنت مرهوباً لعاديةٍ ... أرمى عدُوِّى بها فى القرطِ والحين[4]

لَذُو وفاءٍ لأهل الوُدِّ مُدَّخَرٍ ... عندى وغَيْبٍ على الإخوان مأمونِ

لست مُنْبرِياً بالجهل أجْعَلُهُ ... صناعةً ما وجدتُ الحِلْمَ يكْفِينى

---

(١) الغناء : الاكتفاء والجدوى . والنبع شجر يتخذ منه القسى . والنجار : الأصل والخروع : نبت ضعيف .

(٢) يغل : يجعله غالياً .

(٣) البز : الثياب .

(٤) العادية : من عدى عليه : ظلمه . والقرط : الحين . أى أرمى بها عدوى عندما أريد ذلك .

المراجع

أحمد الإسكندرى : تاريخ اللغة والآداب فى العصر العباسى

أحمد بن عبدالله: (أبو العلاء المعرى) : عبث الوليد .

أحمد بن علىّ: (الخطيب البغدادى) : تاريخ بغداد .

أحمد بن محمد بن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ .

أحمد بن محمد بن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٣ .

إسحق كنعان : البحترى : درس ، وتحليل .

الأشنانداني : معانى الشعر .

حبيب بن أوس : (أبو تمّام) : ديوان الحماسة .

الحسن بن بشر الآمدىّ : الموازنة بين أبى تمام والبحترى .

الحسن بن رشيق القيروانىّ : العمدة فى صناعة الشعر ونقده .

السباعى السباعى بيّومى : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى .

طه حسين (الدكتور) : من حديث الشعر والنثر .

عبد السلام وسّم : طيف الوليد .

عبد العزيز سيد الأهل : عبقرية البحترى .

عبد القادر الجرجانى : المختار من شعر المتنبى والبحترى وأبى تمام .

عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أدب الكاتب .
الشعر والشعراء .

على بن حسين المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ .

علىّ بن العباس : (ابن الرومى) : ديوان ابن الرومى .

علىّ بن عبد العزيز الجرجانى : الوساطة بين المتنبى وخصومه .

على بن عبد الغنى الحصرى : زهر الآداب .

على بن محمد بن الأثير : الكامل فى التاريخ .

على بن محمد : (القاضى التنوخى)	: نشوار المحاضرة .
أبو الفرج الأصبهانى	: الأغانى جـ ١٨ .
محمد بن إسحق النديم	: الفهرست .
محمد بن جرير الطبرى	: تاريخ الأمم والملوك .
محمد الخضرى	: تاريخ الدولة العباسية .
محمد بن سلام	: طبقات الشعراء .
محمد صبرى (الدكتور)	: الشّوامخ : البحترى .
محمد بن عمران المرزبانىّ	: الموشّح .
محمد بن يحيى الصولى	: أخبار أبى تمّام .
محمد بن يزيد المبرّد	: الكامل .
محمود مصطفى	: الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسىّ .
نصر الله بن محمد بن الأثير	: المثل السائر فى أدب الكاتب والشّاعر .
الوليد بن عبيد (البحترى)	: حماسة البحترىّ .
	ديوان البحترىّ .
ياقوت الرّومىّ	: معجم الأدباء .

obeikandl.com